الدرس الثاني والاربعون

فضل صلة الرحم

اخرج البخاري في صحيحه بـ (قوله تعالى وتقطعوا أرحامكم) . عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن ، فقال مه قالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال : ألا ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك . قالت : بلى يارب قال : فذاك ، قال أبو هريرة : فأقرؤا إن شئتم (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم) . وفي رواية عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إقرؤا إن شئتم (فهل عسيتم) .

* * *

لصلة الرحم فوائد جمة ، وثمرات محققة ، ونتائج حسنة في حياة المسلم وسعادته وقد رتب النبي ﷺ على صلة الرحم أمرين محققين هما بسط الرزق وسعته ، والانساء في الأثر . في حديث الشيخين عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره

الحقو بفتح الحاء وكسرها الازار والخصر أي موضع شد الازار . قال في المصباح الحقو بالفتح موضع شد الازار وهو الخاصرة ثم توسعوا فيه حتى سموا الازار الذي يشد على العورة حقواً . ومه بفتح الميم وسكون الهاء اسم فعل أي اكفف وانزجر وقد يراد بها الاستفهام . والعائذ المستجير . والانساء في حديث أبي هريرة التأخير والمراد به هنا الأجل فهو كناية عن زيادة العمر وطوله .

فليصل رحمه . وتوعد النبي ﷺ بتعجيل العقوبة لقاطع رحمه ومهمل أقاربه ففي حديث أبي بكرة مرفوعاً عند الامام أحمد (ما من ذنب أحرى أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم .

ومساعدة ذوي القربى وصلتهم واجب ديني ندب الله اليه ، وجاءت الاحاديث حاثة عليه . من آكد واجبات المرء في حياته يدعوك له الشفقة والحنان والعطف والرحمة على ذوي قرباك . وليس من البر مساعدة الخامل الكسلان ، وتشجيعه على البطالة والكسل ، وانما البر في مساعدة من فقد أسباب العمل ولم تهيأ له طرق المكاسب . وعليك أن تعاملهم معاملة الرفق واللين فتحترم كبيرهم وتجله وتحسن الى صغيرهم وتتجاوز عن هفواتهم وتغض الطرف عن زلاتهم ، وتقابل المسيء منهم بالاحسان ، لا بالاستنكار والاستهجان ، كيف وهم أقاربك وأولى الناس بمحبتك ومودتك ، وعطفك ورحمتك ، وهم أقرب الناس اليك بعد إخوتك ووالديك ، يتمنون سعادتك وهنائك ، ويرجون الخير لك ، فجدير بك أن تسرع لمواساة بائسهم ، وعيادة مريضهم ، والسلام على غائبهم ، ومشاركتهم في أفراحهم واظهار السرور لهم ، ومشاطرتهم في أتراحهم وتخفيف آلام الحزن عنهم ، والاسراع لقضاء حوائجهم وغير ذلك من الاعمال الطيبة ، والمظاهر الشريفة ، فبذلك تضيف قوة الى قوتك فيسرعون الى اجابتك ودفع الاذى عنك في ملماتك . وحسبك ما قاله سبحانه وتعالى للرحم عندما لاذت ببابه ، ووقفت مستجيرة باعتابه وقد أخذت بحقوه ، وتمسكت بأهدابه ، ترفع شكواها وتنادي من خلقها وسواها ، بلسان طلق ذلق فصيح ، وقول صحيح ، وهي تقول : يا رباه (هذا مقام العائذ بك من القطيعة) فيجيبها سبحانه على الفور الى تحقيق طلبتها واجابة رغبتها (ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك) فتسرع لاجابة الله الكريم ، وأنها راضية بهذا التحكيم قائلة (بلى يا رب قال) سبحانه (فذاك) لك . قال رسول الله ﷺ تأييداً لما جاء في هذا الحديث الشريف (فاقرؤا إن شئتم قول الله تعالى (فهل عسيتم

إن توليتم) أعرضتم عن الايمان (أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم) أي تعودوا الى أمر الجاهلية من البغي والقتال وقطع الرحم . وتأمل كيف قرن الله عز وجل قطيعة الرحم بالافساد في الارض لاهميتها عند الله تعالى . وقال الامام النووي رحمه الله تعالى (لاخلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية والصلة درجات بعضها أرفع من بعض وأدناها صلتها بالكلام ولو بالسلام ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة) .

فالمسلم من يسارع الى امتثال أمر الله ورضاه ، واجتناب مانهاه ، فيصل ذوي رحماه ، ويتفقد أهله وقرباه ، قال تعالى (وآت ذا القربى حقه) .

الدرس الثالث والاربعون

فضل الجهاد في سبيل الله

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : دلني على عمل يعدل الجهاد . قال : لا أجده . قال هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر، قال: ومن يستطيع ذلك .

* * *

إن من اقدس الواجبات ، وأفضل القربات ، وأعظم شعائر الدين ، العمل على رفع منار الاسلام والمسلمين ، ودعم صفوف المؤمنين ، مهما تكلف في سبيل ذلك من أخطار وصعوبات ، وتحمل من مشقة وعقبات ، وبذل من نفس ونفيس ، وغال ورخيص ، في سبيل نصرة الحق وإشادة صرح العدل ودك بنيان الجور وهد أركانه ، وتقويض دعائمه ، حتى تصبح كلمة الله هي العليا ، وكلمة أهل الباطل والظلم ممن يمكرون صفو الناس ويهددون الأمن ويقلقون الراحة العامة ، ويثيرون الحرب والفتن ويسعون في الأرض الفساد هي السفلى . فمن حفزه ايمانه ودعاه واجبه فلبى نداء الواجب وقام بحق الايمان ، وجاهد ابتغاء المحافظة على الفضيلة والشرف، والكرامة، والدين والعرض والوطن خشية أن يثلم أو ينال بمكروه فهذا وأمثاله لا يرجع إلا باحد شيئين إما النصر والظفر والعلو على الأعداء بالتمكن من القضاء على ذئاب البشر ولصوص الانسانية ، واما باستشهاده في ميدان الشرف وحلبة الفضائل ومثل هذا لن يموت ولئن مات ظاهراً فان نفسه الشريفة الحية

وذكره الخالد باق الى الأبد على مر الأيام والدهور . وعلى المؤمن أن يعتقد أنه لابد للحق أن يعلو وللفضيلة أن تنصر وللباطل أن يخذل (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) وقال تعالى : (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) وكيف لايزهق الباطل ويخسأ ويستسلم ويصرع أمام دولة الحق وصولته وعظيم قدرته وقوته ، فلا ييأسن يائس وليعلم أن الله ينصر من ينصـــره والعاقبة للمتقين قال تعالى : (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .

وقد ندب الله لهذا الواجب الكبير في آيات كثيرة ومواضع شتى وبين حرمة البدء وكراهية الاعتداء . فقال عز وجل : (وقاتلوا في سبيل الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين) وقال تعالى في بيان فضل المجاهدين :(لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعـد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما) وقال سبحانه أيضاً : (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) وغيرها من الآيات الدالة على عظيم فضلهم وكبير أجرهم عند الله تعالى وحسبك ماأجاب به النبي ﷺ الرجل السائل كما في هذا الحديث الذي نعاني شرحه فقال : (دلني على عمل يعدل الجهاد) يعني يساويه ويماثله في نيل غايته وعظيم فائدته وكبير أجره (قال) ﷺ : (لاأجده) أي ولا أظفر به (ثم قال) عليه السلام مستأنفاً على سبيل الاعياء (هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر (قال) الرجل (ومن يستطيع ذلك) يعني لا أحد يستطيعه أو يقوى عليه .

فهنيئاً لأولي الهمم الكبيرة ، والنفوس الوثابة والعزائم الصادقة التي تسارع في ابتغاء مرضاة الله وحسن ثوابه وتهرع لاجابة ندائه ، وتلبية أوامره ، واذا كان المرء يعلم أن الموت حتم لازم لامحيص عنه ولا مفر منه ، فليمت في حجر الشهادة وفي سبيل الشرف والكرامة ، وليأب حياة الذل والخنوع والاستعباد والخضوع.

فهو خير له في دينه ودنياه ، وأولاه وأخراه ، فيخلد ذكره ، ويعظم أجره ، وقد ورد في هذا الصدد والترغيب فيه أحاديث كثيرة ، ومواعظ بليغة . فمنهاماأخرجه البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : كل كلم يكلمه المسلم في سبيل الله يكون يوم القيامة كهيئتها إذا طعنت تفجر دماً فاللون لون الدم والعرف عرف المسك وفي حديث أنس بن مالك عند البخاري أيضاً عن النبي ﷺ قال : لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها . وفقنا الله لما يحبه ويرضاه ،وأبعدنا عما يكرهه ويأباه .

الدرس الرابع والاربعون

أفضل أنواع الصدقات

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رجل للنبي ﷺ يارسول الله أي الصدقة أفضل قال:أن تتصدق وأنت صحيح حريص تأمل الغنى وتخشى الفقر، ولاتمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان .

* * *

ندب الله سبحانه في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله الحكيم الأغنياء لمواساة ذوي الفاقات ، وأرباب الحاجات ، وأن يجعلوا لله نصيباً مما ينفقون من النفقات في كثير من الآيات قال تعالى : (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) . فهنيئاً لمن أقرض الله قرضاً حسناً بما ادخره لدى الفقراء من الأيادي البيضاء واغتنم منهم صالح الدعاء ، والمتصدق موعود بمضاعفة ماله ونماء صدقته وازدياد الخير والبركات . قال تعالى(يمحق الله الربا ويربي الصدقات) . وفي حديث ابي هريرة عند البخاري (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ـ حلال ـ ولا يقبل الله إلا الطيب فان الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل) وعن ابي هريرة وهو في البخاري ايضاً أن النبي ﷺ قال : (مامن يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول احدهما : اللهم أعط منفقاً خلفا ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا) فالعاقل من يسابق في ميدان الخيرات بما يقدمه من الصلة والاحسان لاخوانه الفقراء ، ويتفقد بره اصحاب

البيوت التي أناخ عليهم الفقر وعضهم البؤس بنابه وأوجعهم بكلابه ، لو رأيتهم تحسبهم من الاغنياء وأهل الثروة والمال ، والله أعلم مايقاسون من ألم الجوع والفقر والشدة والعسر لكن يمنعهم الحياء وعزة النفس أن يمدوا أيديهم بالسؤال ، وأن يطلبوا الرزق من غير الله الكبير المتعال . فهؤلاء وأمثالهم ممن ورد وصفهم في كتاب الله الكريم وأوصى بهم السيد الحكيم ﷺ يضاعف الله للمتصدق عليهم الاجر ويجزل له الثواب ، ففي حديث البخاري أن رسول الله ﷺ قال :(ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذي لايجد غنى يغنيه ، ولا يفطن له فيتصدق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس) .

وفي هذا الحديث الذي نعمل على ايضاحه والكشف عنه بيان لما كان عليه اصحاب رسول الله ﷺ من شدة الحرص على أفضل القربات وأعظم الطاعات عند الله تعالى فسأل احدهم النبي ﷺ عن اكثر أنواع الصدقات أجراً ، وأعظمها ذخراً ،فأجابه الرسول ﷺ بقوله : (أن تصدق وأنت صحيح) الجسم معافى البدن تتمتع بقواك العقلية والجسمية(حريص)وفي رواية شحيح (تأمل الغنى)أي تطمع فيه لقدرتك على المكاسب والأرباح (وتخشى الفقر) وانما كانت الصدقة في هذا الحال أفضل لما تستدعيه من شدة مجاهدة النفس على إخراج المال مع قيام المانع من الشح فاخراجه حينئذ دليل واضح على حسن النية وصحة القصد وشدة الرغبة في التقرب الى الله تعالى (ولاتمهل حتى اذا بلغت) الروح (الحلقوم) مجرى النفس وذلك عند الغرغرة (قلت لفلان كذا ولفلان كذا) كناية عن الموصى له والموصى به فيها (وقد كان لفلان) أي وقد صار ما اوصي به للوارث فيعطاه إن شاء اذا زاد على الثلث .

ويؤخذ من الحديث انه لا ينبغي للمرء أن يتأخر بالصدقة الى وقت معاينة الموت والايذان بالانصراف من هذه الدنيا ومفارقة نعيمها فعندها لسخو نفسه

وتجود يده بالعطاء لانه يكون مغلول اليد عن التصرف والانفاق في ماله إذ أن المريض لايحق له التبرع بأكثر من ثلث ماله وما زاد على قدر الثلث فهو موقوف الى إجازة الورثة فان شاؤوا اجازوا تصرفه وإلا منعوه . ويدل الحديث ايضاً على افضلية الصدقة حال الصحة والعافية لا حال السقم والمرض لما ذكرناه آنفاً في شرح الحديث من شدة مدافعة النفس وتخويف الشيطان من الفقر على حد الآية الكريمة (الشيطان يعدكم الفقر) وفي الترمذي باسناد حسن وصححه ابن حبان عن ابي الدرداء مرفوعاً (مثل الذي يعتق ويتصدق عند موته مثل الذي يهدي إذا شبع) .

وليحذر الموصي جهده من الحيف في الوصية لما ينتج عنها من تضييع حقوق الورثة كما قال عليه السلام من حديث طويل لسعد بن ابي وقاص رضي الله عنه (إنك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس) .

الدرس الخامس والاربعون

حقوق الوالدين وبرهما وحسن الادب بحضرتهما

اخرج البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله :من احق الناس بحسن صحابتي قال : أمك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من، قال ثم أبوك .

* * *

شأن الوالدين عظيم . وحقهما عند الله كبير ، كيف لا وهما أصل وجودك ، ومصدر سعادتك ، يحوطانك بعنايتهما ، ويشملانك بعطفهما ، ويؤثرانك على انفسهما ويهتمان بمصالحك وحسن حالك قبل مصالحهما، فجدير بك أن تقابلهما بالبر والاحسان والتوقير والاحترام ، وتسارع لامتثال أمرهما ، وقبول نصحهما وإدخال السرور على قلبهما ، فانهما قد مارسا الحياة أكثر منك فعرفا مالم تعرفه ، وأدركا بخبرتهما وتجاربهما مالم تدركه ، وقد شدد سبحانه في الوصية بالاحسان لهما ، وإظهار التذلل والخضوع بين يديهما ، وعلق رضاءه على رضائهما . فلو انك فعلت كل خير في هذه الحياة ولم ترع حقهما ، لا يرضى الله منك ، ولا يقبل عليك ، قال تعالى : (أن اشكر لي ولوالديك) . فتأدب امامهما وكن حسن الخطاب لين الكلام بين أيديهما حقيراً ، قال تعالى : (ولا تقل لهما أف ولاتنهرهما وقل لهما قولا كريما ،واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) . فأحسن الى ابيك

وامك ما أمكنك الاحسان ، واحذر سوء الأدب بحضرتها و اعلم أن كل ما تقدمه لهما من الخدم ، وتقوم لهما به من الرعاية والاخلاص أقل بكثير من الواجب عليك لهما ، ولا تحسبن يوماً أنك وفيتها حقها ، وكافأتها على عملها ، فان حقها لا يوفى مهما صنعت ، وواجبها لا يكافأ مهما بذلت . واعتن بها زمن هرمها كما اعتنيابك زمن صغرك ، ولا تظهر لها سآمة وملالا ، اوتأففاً وضجراً . مهما لاقيت من صعوبة في خدمتها ، فانك ستصير في مستقبل أيامك ابا مثلها فبرها ليبرك أبناؤك بمعاملتهم لك ، وفي حديث ابي أمامة عند ابن ماجة أن رجلا قال يارسول الله: ماحق الوالدين على ولدهما ، قال : هما جنتك ونارك ، ولذا جعل النبي ﷺ عقوقهما من اكبر الكبائر بعد الاشراك بالله ، وامر سبحانه بالعناية بهما وحسن مصاحبتها فقال : (وصاحبهما في الدنيا معروفا) وقد دعا النبي ﷺ أن يرغم الله أنف من ادرك والديه أو أحدهما عند الهرم فلم يدخل الجنة ولم ينج من النار ، ففي حديث مسلم عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : (رغم انف ، ثم رغم انف ، ثم رغم انف ، قيل من يارسول الله قال: من ادرك ابويه عند الكبر احدهما او كليهما فلم يدخل الجنة) .

وفي حديثنا الذي نحاول شرحه دلالة واضحة ان لكل من الابوين حقاً في الرعايةوحسن الصحبة ، وان حق الأم يفوق حق الأب بدرجات . وإنما علت منزلتها ، وسمت رتبتها ، وعظم حقها عن حق الاب مع انهما شريكان في القيام بمصالح الولد وتربيته ، فالوالد يمده بالنفقة والمال ، والرعاية والمراقبة ليكون مستقيم الحال حسن الخصال ، والام تربيه بخدمته في طعامه وشرابه ، وحسن تنسيقه ونظافته في جسمه وثيابه ، لانها عانت في سبيله من تحمل الآلام والاخطار ما لم يعانه الاب وذلك لصعوبة الحمل ومشقته ، وما يكتنفها عند الوضع من معاينة الالم وشدته ، ثم ما تلاقيه في مدة رضاعه ، من مصاعب وآلام ومخاوف جسام ،

فتعرض لنحولة الجسم وضعفه ، مع ما تزيله من الاذى عنه في بدنه وجسمه ، ولذا استحقت المرتبة العالية من بر ولدها وعنايته ، وحفظه ورعايته ، وكان لها الحظ الاكبر ، والنصيب الاوفر .

فهنيئاً لمن وفق للقيام بهذه الواجبات ، والترفيه عن والديه في الحياة ، والاستغفار لهما بعد الممات ، وتزويدهم بالدعاء وطلب المغفرة والمسامحة . فعسى الله ان ينعم عليهم بآخرة صالحة ، وقد قال تعالى : (حملته امه كرها ووضعته كرها).

الدرس السادس والاربعون

الرحمة والبعد عن القسوة

اخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت جاء أعرابي الى النبي ﷺ فقال أتقبلون الصبيان فما نقبلهم فقال ﷺ أو أملك لك ان نزع الله من قلبك الرحمة .

* * *

الرحمة عاطفة نبيلة وخلق شريف من أفضل الاعمال وازكاها ، وأرفعها وأعلاها ، وناهيك انها خلق الانبياء والمرسلين ، وعباد الله المتقين ، أثنى الله بها على نبيه في محكم التنزيل فقال سبحانه في وصفه : (بالمؤمنين رءوف رحيم)وقال مبيناً الغاية من ارساله ، والفائدة من بعثه ، (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فكان مجيئه ﷺ برسالته من عند الله تعالى رحمة للناس . فبينما كان الناس يتخبطون في بحر من الاوهام والجهالات ومساوىء الاخلاق وسيىء العادات، يعبدون الأصنام وما نحتوه من الاحجار والأوثان ، آلهتهم شتى وأربابهم متفرقة ، وقد عم الكون الفساد ، وشمل الظلم العباد ، فالقوي يأكل الضعيف ، ولا مراقب له ولا مخيف ، جاءهم النبي ﷺ فأنقذهم من عبادة الاصنام وتعظيمها الى معرفة الله وتوحيده ، والتفكر في آلائه وتمجيده ، وانتشلهم من أوهامهم وجهالاتهم ، ومساوئهم وضلالاتهم ، الى الاهتداء بنور القرآن وتعاليمه عليه السلام فبعد أن كانوا قابعين في عقر دارهم ، قانعين في جزيرتهم ؛ إذ بهم يحملون الى العالم أجمع رسالة النور والأمان ؛ والحق والسلام ؛ فيفتحون البلاد ويسوسون العباد بفضل

ما تمكن في نفوسهم ؛ وقوي في افئدتهم من حب للرحمة وابتغاء الرأفة بخلق الله ورغبة في العدل فكان مولده ﷺ نعمة ؛ وبعثه كما ذكر الله رحمة لاتدانيها رحمة. والرحمة صفة من صفاته سبحانه وتعالى التي اختارها لنفسه ؛ واصطفاها لقدسه ؛ فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ؛ وحدث عن رحمته في كتابه فقال: (ورحمتي وسعت كل شيء) فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) وها هو ذا النبي ﷺ يرغبنا في اللين والرحمة والرفق والمسامحة بقوله وفعله فهو يقول: (من لا يرحم لايرحم) وهو القائل ايضا :(لا تنزع الرحمة إلا من قلب شقي) أي ولا تسكن الا في قلب تقي ؛ فالرحمة اذن فضيلة ؛ والقسوة رذيلة وعمل منكر لايقدم عليها من يؤمن بلقاء الله واليوم الآخر . والرحمة لاتختص بالانسان فحسب بل تعم الحيوان وكل ذي روح وإحساس . فمن آثار رحمة الانسان بأخيه الانسان أن يخصه بمزيد البر والاحسان ؛ فينفس كربه ؛ ويخفف المه ؛ ويفرج همه ويسعى لازالة الشحناء ؛ ورفع البغضاء ويواسي فقره ويرشده عند الحيرة ؛ وينبهه عند الغفلة ؛ ويعين العاجز منهم ويعود المرضى ويشيع الجنائز وغيرها من الاعمال النافعة والطرق المجدية . ومن آثارها ايضاً ما نجده من تقبيل الوالد لاولاده ، وحنوه على ذريته واحفاده ، كما كان يفعل سيدنا رسول الله ﷺ بالحسنين رضي الله عنهما وغيرهما ففي حديث البخاري عن أسامة بن زيد قال كان رسول الله يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن على الأخرى ثم يضمهما ثم يقول اللهم ارحمهما فاني ارحمهما وأمثال هذا كثير من فعله ﷺ . ومن آثارها جريان العين بالدمع وذرفها عند المصيبة كما كان رسول الله ﷺ حال وفاة ولده ابراهيم جعلت عيناه تذرفان الدمع فقال له عبد الرحمن بن عوف وانت يارسول الله فقال يا بن عوف انها رحمة ،ولذا اجاب النبي ﷺ الأعرابي عند قوله له (أتقبلون الصبيان فما نقبلهم) بقوله :(أو املك ان نزع الله الرحمة من قلبك) وفيه من التوبيخ ما لا يخفى .

ومن آثار الرحمة في الحيوان ما جاء في حديث مسلم عن ابي يعلي شداد بن

أوس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : إن الله كتب الاحسان على كل شيء فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته) وذلك بان يرفق بالبهيمة ولا يصرعها بغتة ولا يجرها من موضع الى موضع ويسرع بقطع الحلقوم والودجين ويتركها الى ان تبرد لتخفيف المها بقدر الاستطاعة ومن الرحمة ما يحدثنا به الرسول ﷺ قال : بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئراً فشرب منها ثم خرج فاذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي ، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له قالوا يارسول الله : وإن لنا في البهائم أجراً قال : في كل كبد رطبة أجر) . وهذا الحديث أساس لجمعيات الرفق بالحيوان ودرس عظيم لاولئك القساة الذين يحملونه مالا يطيقه ؛ ولياليتهم وقفوا عند هـذا الحد من الوحشية والقساوة بل يزيدون على ذلك التعذيب والضرب والسياط مما ينافي الرحمة والشفقة والاحسان المطلوب في قوله عليه السلام . وليعلم هؤلاء ما أعد الله لهم من الغضب والعقاب ،ودخول النار والعذاب ، ففي حديث الشيخين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً فدخلت فيها النار . فليعتبر بذلك قساة القلوب وليعلموا أن بطش الله شديد وعقابه أليم . وليعلموا أن رحمة الله لاتعمهم ولا تشملهم لما اتصفوا به من قسوة القلب المبعدة لهم عن الرحمن ، والمدنية لهم من الشيطان) . إن رحمة الله قريب من المحسنين) . ومن أندر ماجاء في الرحمة ما أخرجه البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ في صلاة وقمنا معه ، فقال اعرابي وهو في الصلاة اللهم ارحمني ومحمداً ، ولا ترحم معنا احدا ، فلما سلم النبي ﷺ قال للأعرابي لقد حجرت واسعا)يريد النبي ﷺ رحمة الله التي وسعت كل شيء كما في الآية الكريمة أسعدنا الله برحمته ، ونور قلوبنا بمعرفته ، وشملنا بعطفه ورأفته .

الدرس السابع والاربعون

الربا ومضاره وذكر بعض أنواعه

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال جاء بلال رضي الله عنه الى النبي ﷺ بتمر برني فقال النبي ﷺ من أين هذا قال بلال: كان عندي تمر رديء فبعت منه صاعين بصاع ليطعم النبي ﷺ فقال النبي ﷺ : عند ذلك أوه أوه عين الربا عين الربا لاتفعل ولكن اذا أردت أن تشتري فبع التمر ببيع آخر ثم اشتر به .

* * *

الربا مذهب للمعروف بين الناس وداع لأكل أموالهم بالباطل ، وهو من أكبر المحرمات وأشد المنكرات ، وقد أعده الله محاربة لله ورسوله ، ومن يطق حربها والتصدي لعدائها . ومحارب الله ورسوله لاشك أنه مغلوب ومهزوم . وما ذلك بمن ينتهز فرصة إعسار أخيه ، ويغتنم الوقت لابادته واستنفاد ماعنده بقصد الاضرار وهو في وقت شدته وعظم حاجته وخلو يده . فمثل هذا ممن نزعت الرحمة من قلبه ، والشفقة من لبه ، جدير بأن يصيبه المحق والبلاء ، وفقدان البركة والنماء قال تعالى: (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) ليرغبنا الله جل شأنه في بسط اليد بالاحسان ، وينفرنا من الشح في النفوس والانهماك بجمع المال من حل وحرام . وما حرم الله علينا الربا الا ليحضنا على مواساة المحتاجين واعانة البائسين ، لتعمنا الرحمة ويشملنا عطف الله ورأفته ، واحسانه وشفقته ، وبذلك تتحقق الأخوة

المطلوبة فيسود الأمن والسلام ، وتذوب الاحقاد والاضغان . ولان تفشي الربا بين الناس فهو موجب للعداء ، وناشر للبغضاء ، ومقو للشحناء ، ومهدد لأهل الغنى والثراء ، بنشر المبادىء الهدامة وتسلط الفقراء على أموال الاغنياء . وحسبك أن النفقة منه خبيثة ، والصدقة به مردودة ، وآكله قد باء بالخزي والعار ، وغضب الله المنتقم الجبار . فالعاقل من يتزود من الحلال ، ويبتغي رضاء ذي الجلال ، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله إن كنتم اياه تعبدون) . ويبتعد عن المعاملة بالربا وكتابته وشهادته ، فانه موجب لغضب الله وكساد تجارته . قال تعالى : (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون) . ويبين النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف بعض انواع الربا التي قد تشتبه على كثير من الناس في معاملاتهم وإنما يجرى الربا في الذهب والفضة والمطعومات ففي الحديث (الذهب بالذهب وزنا بوزن مثلا بمثل والفضة بالفضة وزنا بوزن مثلا بمثل فمن زاد واستزاد فهو ربا) واليك ماجرى بين النبي ﷺ ، وبلال المؤذن .

جاء بلال رضي الله عنه الى النبي ﷺ بتمر برني ، وهو ضرب من التمر أصفر مدور وهو أجود التمر وفي مسند الامام أحمد مرفوعاً : خير تمركم البرني يذهب بالداء . (فقال له النبي ﷺ من أين هذا ؟) التمر البرني الجيد قال بلال : كان عندي تمر رديء فبعت منه صاعين بصاع ليطعم ، أي بلال (النبي ﷺ فقال النبي ﷺ عند ذلك : أوه أوه) كلمة تحزن . وتأسف النبي ﷺ لسوء تصرف بلال وعدم فطنته لوقوعه في الربا مما زاد مسلم في نحو هذه القصة من طريق أبي نضرة عن أبي سعيد فردوه . ومعلوم أن بيع الربا مما يجب رده ولا يجوز استدامته . ثم قال عليه السلام مبيناً خطورته وفساده هذا (عين الربا لاتفعل) ثم ارشده عليه السلام الى ماينبغي ان يعمله إذا اراد مثل هذا العمل كي لايجري الربا ويبوء بالاثم (ولكن اذا

اردت ان تشتري) تمراً جيداً (فبع التمر) الرديء (ببيع آخر) وعقد مستقل بأن لايكون في مقابلة الجيد بل في مقابلة دراهم مثلا (ثم اشتر) الجيد (به)يعني بثمن الرديء فلا تقع بالربا ولا ينالك إثمه ، او يلحقك ضرره .

وانما توخيت من ايراد هذا الحديث تنبيه العامة والجهلة الى مايقع في معاملاتهم وبيعهم وشرائهم واستبدالهم من الربا المعلوم حرمته ، والبين ضرره وفساده ، والعظيم إثمه ووباله . والله من وراء القصد وهو الهادي الى سواء السبيل .

الدرس الثامن والاربعون

تأثير البيئة في تربية النشء

اخرج البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء . ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم .

* * *

أجمع العقلاء على ان الانسان بحاجة الى التربية فانما يولد صغيراً مجرداً عن كل المميزات قابلا لكل نقش مستعداً لكل ما يلقى اليه من تعليم ويحاط به من تثقيف، والوالدان هما الراعيان لولدهما المسؤولان عنه لدى الله والناس فان احسنا تأديبه وعوداه الخير وانشأاه عليه سعد في دنياه وأخراه ، ونال امنيته ومبتغاه ، وكان لوالديه وكل من اشترك في تعليمه ، وساهم في تهذيبه ، أجره عند الله وإن اهمله والداه اهمال البهائم ولم يرعيا حق الله به كان اثمهما عند الله كبيراً ، وسوء اهمالهما خطيراً .

وإن من الامور المحققة والحقائق المشاهدة على ماقد مناه أن عقلية الولد تتأثر بتأثير البيئة والمجتمع صحة وفساداً لسذاجة نفسه ، وسلامة فطرته ، إذن فواجب الوالد كبير فعليه أن يحوطه بعناية دقيقة ، ورقابة شديدة ، وتوجيه صحيح ،وتربية حسنة . وذلك بان يؤدبه ويهذبه ويعلمه مكارم الاخلاق ومحاسن العادات .ويحفظه

من قرناء السوء وذوي الاخلاق المنحطة . وليعلم الوالد أن ولده أمانة بين يديه فليؤد واجب الامانة . وليقم بحق الرعاية . وإذا اهمل الولد في ابتداء نشأته وأول ترعرعه وتمييزه خرج خبيث الطبع سيء الاخلاق محتالا كذابا سراقا كثير الهذيان وفضول الكلام ، يتداخل فيما لا يعنيه ، بذيء اللسان مغتابا نماما وقحاً بعيداً عن التقوى والطاعة قريباً من الفجور والفسوق ، وفي مثل هذا الحال يكون وبالا على المجتمع وعضواً فاسداً يجب أن يبتر ويقطع إلا من حفظ ربك .

ويجب على ولي الصبي عند إرادة تعليمه أن يسلمه لمرب صالح ومعلم ناصح يحفظ عليه أخلاقه ، ويحسن آدابه ويروضه على الشعائر الدينية ، ويلقنه العقائد الصحيحة الاسلامية ، ولا يتسامح معه في إهماله أمر الدين وآدابه ، ولا يجوز تسليمه الى معلم متهتك يستهتر بأمر الدين ، أو زنديق مارق لايبالي بعقائد المسلمين ، أو جاهل سخيف يهتم بالخرافات والغرائب وهو في نفسه لا يميز الحق من الباطل والغث من السمين ، او ملحد خارج عن الاوامر الآلهية والنواميس السماوية ، غير مكترث بالتعاليم الدينية ، أو يقذف به في المدارس التبشيرية الأجنبية ، ذات الاغراض المعروفة والغايات الدنيئة والتوجيه الفاسد .

ولمثل هذه الاغراض الشريفة والغايات النبيلة ، يرشدنا السيد الحكيم ﷺ إلى رعاية الولد وصيانته ، وشدة مراقبته وحمايته ، فهو يقول : ما من مولود إلا يولد على الفطرة) الصحيحة الاسلامية والعقيدة المرضية (فأبواه) أي المولود يعني إذا تقرر ذلك فمن تغير عن الفطرة الصحيحة ومال الى العقائد الباطلة والآراء الفاسدة والمذاهب الزائغة كان سبب تغيره أبن أبويه (يهودانه أو ينصرانه او يمجسانه) بتعليمها إياه او ترغيبها فيه او تبعيته لهما في الدين على سبيل التقليد المذموم وترك تحكيم العقل في الادلة والبراهين ، ثم ضرب عليه السلام مثلا لتأييد ما تقدم وإيضاحه فقال : (كما تنتج البهيمة) أي تلد (بهيمه جمعاء) أي لم يذهب في بدنها شيء (هل تحسون) أي تبصرون (فيها من جدعاء) أي مقطوعة الاذن

او الانف او الاطراف او مفقوءة العين وكل من نظر اليها قال هذا القول لظهور سلامتها ، وفي يهودانه أي يهودان المولود بعد أن خلق على الفطرة حال كونه شبيها بالبهيمة التي جدعت بعد ان خلقت سليمة . (ثم يقول ابو هريرة) وهو من كلامه وليس من الحديث إقرءوا إن شئتم كما في رواية مسلم (فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) . والمراد بفطرة الله في الآية الكريمة قبول الحق وتمكينهم من إدراكه او ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدام اليه لان حسن هذا الدين ثابت في النفوس ، ومستمد من المقول وإنما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية كالتقليد وغيره .

وأري لا مندوحة لي من توجيه نداء الى اولئك المغفلين من اولياء الطلاب والطالبات ، والفتيان والفتيات ، الذين يقذفون بهم في المدارس التبشيرية. فترضعهم من سمومها ، وتغذيهم من مكايدها. وتخدعهم بما اختطته من طرق المكر وأساليب الخداع فلا يخرجون منها إلا وقد عرفوا كل شاردة وواردة من تاريخ الاجانب وسير ابطالهم وعظمائهم ، ولم يعلموا النذر القليل عن سير اجدادهم من الفاتحين المسلمين ، والعرب الاكرمين ، فليتق الله أولياؤهم وليعلموا انهم هم المسئولون عن ضياع دينهم والمتسببون بفقدان مجدهم وليستعدوا للجواب بين يدي احكم الحاكمين والمنتقم من الظالمين المضلين (ياأيها الناس قو انفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة) . والله المسئول أن يلهمنا الصواب ، ويوفقنا لسداد الرأي والبعد عن الاذناب .

الدرس التاسع والاربعون

كراهة الحلف بغير الله

اخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت .

☆ ☆ ☆

اتفق العلماء أن اليمين لا تنعقد إلا بالله وبأسمائه وصفاته وذلك كقول الرجل والذي نفسي بيده وكقوله والله الرحمن ونحوها او كقوله وعزة الله وقدرته فاذا حلف بشيء من ذلك واشباهه ثم حنث فعليه الكفارة ولا يجوز الحلف بغير الله كالنبي والكعبة والولي والصحابة ونحوهم فاذا حلف بشيء من ذلك لا تنعقد يمينه ولا كفارة عليه ويكره الحلف به في حديث الصحيحين (إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم) وقال الشافعي اخشى ان يكون الحلف بغير الله معصية ، حمله العلماء على المبالغة في التنفير من الحلف بغير الله . وكما كره الحلف بغير الله كرهت الاستعانة والسؤال من سواه ، ففي حديث الترمذي عن ابن عباس ووصية النبي ﷺ له فمنها قوله:(اذا سألت فاسأل الله ،واذا استعنت فاستعن بالله) . وانما اردت من ايراد هذا تنبيه كثير من العامة والجهلة الى فساد سؤالهم واستعاناتهم وذلك كاستعانة بعضهم عند القيام وقوله يا علي وكقول آخرين يابني او ياولي وما اشبهه فكل ذلك من الامور المكروه فعلها في الدين ،واما إن عتقد في المحلوف اوالمستعان به من غير الله ما يعتقده في الله كفر ، والنهي عن الحلف بالآباء والامهات ونحوهم عند الحنابلة للتحريم لقوله عليه السلام:(من حلف بغير الله فقد كفر اوأشرك)

وإن كان الحلف بغير الله عن سبق لسان فلا كراهة به عند الجمهور ، وينبغي على كل حال ان لا يعود لسانه الحلف إلا عند الحاجة والضرورة فان كثرة الحلف بالله من غير ضرورة شرعية ضرب من الاستهتار وخاصة ما اعتاده الباعة والسوقة من الأيمان عند ارادة البيع او الشراء وذلك كما قال عليه السلام (الحلف منفقة للسلعة) ممحقة للبركة) فيؤكد الأيمان ويغلظها وهو في نفسه كاذب وفي حلفه فاجر لقاء منفعة يسيرة وربح قليل فيغرر بالمشتري فيصدقه فيشتريها .

ولئن ربح هذا الرجل ماراد ، وسبق له ماأمل فان الله سيوفيه جزاءماعمل واثم ما اقترف ، فيحيق به البلاء ، ويدركه الفقر والشقاء ، وينزل به العذاب الوانا والمصائب أصنافاً ، فيصبح بعدالارباح الطائلة والثروة الكبيرة ، والغنى الواسع ، والصحة والرفاهية مرتعاً للامراض والاسقام ، والعسر والانتقام ، جزاء من اتخذ اسم الله هزواً ولعبا ، وأمن مكر الله ولم يخش بطشه وانتقامه ، والله تعالى ناظر اليه ، ومطلع عليه ، ومهل له قال تعالى:(ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) . وقال تعالى :(إن ربك لبالمرصاد) وفي الآية ايضاً (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم إن كيدي متين) . فالمؤمن الرابح من لا يروج تجارته وينفق سلعته بالايمان ، بل يعلم ان الرزق مقسوم فما قدر ان يكون له فلا بد ان يصله ، فلا حاجة لسلوكه الطرق المحظورة والسبل المؤدية لفقدان البركة ومحق الخير وغضب الله قال تعالى :(ولا تطع كل حلاف مهين)

وأما ما أقسم به تعالى في كتابه ببعض مخلوقاته كالليل والشمس وغيرها فله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته تنبيها لشرفها وفضلها ، أو انها على حذف مضاف والتقدير ورب الشمس او وخالق الليل ونحوه .

الدرس الخمسون

مثل الجليس الصالح والجليس السوء

اخرج البخاري في صحيحه عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما ان يحذيك، وإما ان تبتاع منه ، وإما ان تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما ان تجد منه ريحاً خبيثة .

* * *

الصاحب هو العضد الاقوى والساعد الايمن المرء في حياته ، وما ينتابه في ملماته وسرائه وضرائه . والعاقل من يختار اصحابه ، ويتوقى جلساءه ، ويتخيرهم من ذوي السيرة المحمودة والعقل الراجح والرأي السديد والدين المتين ، ولا تؤاخي من لا يصلح للاخوة ولا يبر بالصداقة ولا يراعي حق الوداد وأدب المجالسة والمحادثة . وجماع ما تقدم ما أوصى به علقمة العطاردي لابنه لما حضرته الوفاة فقال :

يابني إذا اردت صحبة انسان فاصحب من اذا خدمته صانك . وإن صحبته زانك ، واذا قعدت به مؤنة مانك ، إصحب من اذا مددت يدك للخير مدها ، وإن رأى منك حسنة عدها ، وإن رأى منك سيئة سدها اصحب من اذا قلت صدق قولك ، وإن حاولت أمراً عانك ونصرك ، وان تنازعتما في شيء آثرك . فان وافاك القدر واسعدك الحظ بصاحب من هذا الطراز ، وصديق متشبع بالوفاء والاخلاص فاظفر به وحافظ عليه ، واوثقه برابطة متينة فهو خير سلوى في هذه الدار ،

وافضل من يستودع الاسرار ، ويلجأ له عند حدوث المخاوف والاخطار ، قال الامام الشافعي رضي الله عنه:لولا القيام بالاسحار ، وصحبة الاخيار ، ما اخترت البقاء في هذه الدار . واحذر ان تغتر بمن يصاحبك بقصد الانتفاع ، فذلك محض نفاق وخداع ، ولتكن صحبتكما عن محبة خالصة طاهرة ، باطناً وظاهراً .والعاقل الفطن من لا يصادق صديقاً ، ويؤاخي صاحباً الا بعد الخبرة الشديدة والوثوق التام ، وخير للمرء أن لا يكون له صاحب من ان يصحب من لا يعتمد عليه ، ولا يركن عند النوازل اليه .

وعليك بمداراة الاشرار والفجار لتأمن شرهم ، وتتقي ضررهم ، ولا تخالطهم إلا بقدر الحاجة للغاية التي ذكرناها كما كان يفعل سيدنا رسول الله ﷺ .روي البخاري عن عائشة أن رجلا استأذن النبي ﷺ فلما رآه قال بئس اخو العشيرة وبئس ابن العشيرة فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط اليه فلما انطلق الرجل قالت له عائشة يارسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا ثم تطلقت في وجهك وانبسطت اليه، فقال رسول الله ﷺ :ياعائشة متى عهدتني فاحشاً إن شر الناس عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره .

وفي حديثنا يضرب النبي ﷺ مثلين للجليس الصالح والسوء فهو يقول :

(مثل الجليس الصالح و) الجليس (السوء كحامل المسك ونافخ الكير) والكير زق ينفخ فيه الحداد(فحامل المسك إما أن يحذيك) أي يعطيك وينفحك منه بشيء هبة (وإما ان تبتاع) أي تشتري (منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة) فتستفيد من حسن مجالسته ، وتتأثر بزكي رائحته(ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك) بما يتطاير من شرره ، ويتصاعد من دخان ناره ،وإما ان تجد) منه (ريحا خبيثة) تعافها نفسك ،وينفر منها طبعك وفي هذا الحديث حث على مجالسة الصلحاء، والقرب من مجالس العلماء ، فاما ان يحدثوك بما ينفعك في دينك ودنياك، ويزودوك بنصائحهم الغالية ، ومواعظهم القيمة ، ووصاياهم الجامعة ، وإما ان تنتفع لدى صمتهم بحسن

شمائلهم ، وكمال أدبهم ، وعلى كلا الحالين فلا تخرج من مجلسهم إلا وأنت متأثر بهم ومحسن سيرتهم .

وأما إن جالست الفسقة والاشرار ، فان لم تنخرط في سلكهم فلا بد أن ينالك خبث رائحتهم ، واقتباس سيرتهم ، فأخبرني أي الصاحبين آثرت ، وأي المجلسين اخترت ، وكأني بك أنك تختار ما اختاره الله ورسوله لك ، فهو الطريق الأسلم ، والمنهج الاقوم ، وكما قيل لاتصحب من لا ينهضك حاله ، ولا يدلك على الله مقاله .

واستدل العلماء بهذا الحديث على طهارة المسك إذ لو كان نجساً لكان من الخبائث ولم يحسن التمثيل به في هذا المقام .

الدرس الحادي والخمسون

حب الدنيا وطول الامل

اخرج البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول : لايزال قلب الكبير شابا في اثنتين في حب الدنيا وطول الامل .

* * *

المال يشغل المرء في الدنيا ويصرفه عن عبادة الله الكريم اذا لم يستعمله في مصارفه المشروعة وطرقه المرغب فيها والمباحة ولم يخرج حق الله منه . أما من استعمله في شهواته ، ومناحي ملذاته فذلك المال الذي يصرف صاحبه عن الله ، ويدنيه من الشيطان . والنبي ﷺ حث على الزهد في الدنيا والتقلل منها لما تورثه من الاستيلاء على النفوس الضعيفة وشدة التمكن منها وهو القائل: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) وفي حديث ابن ماجة وغيره عن سهل بن سعد الساعدي قال : جاء رجل الى النبي ﷺ فقال يارسول الله دلني على عمل اذا عملته أحبني الله واحبني الناس فقال : إزهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس . فارشده عليه السلام الى الزهد في الدنيا وعدم استشرافه لها فذلك سبب لرضا الله عنه ومحبته له ، والى الزهد فيما في ايدي الناس والتسامح معهم وبذل مابيده لهم فذلك سبب لمحبة الناس له ، وتفانيهم في سبيله ولذا قال النبي ﷺ في بعض خطبه:(من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة فيها،ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال:(وإن أفضل الناس عبد أخذ من الدنيا الكفاف، وصاحب فيها العفاف . والعاقل من يؤثر ما يبقى على ما يفنى قال تعالى: (والآخرة خير لك من الاولى)

وقد نظر لها الصحابة بعين الحقارة والامتهان. والى الآخرة بعين التعظيم والاحترام لما وقفوا على خسة الاولى ورفعة الآخرة قال تعالى: (انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد) وقال تعالى : (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ورضوان الله والله بصير بالعباد) . وقال تعالى ينبه المؤمنين الى الاقلاع عن الشح والبخل وعدم انصراف المرء بكليته اليها: (يا ايها الذين آمنوا لاتلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) ورغب الله المؤمنين في الاعراض عن الدنيا والزهد فيها بآيات كثيرة ومواضع شتى ولا يظن ظان أن معنى الزهد في الدنيا هو ترك الاسباب واهمال الاعمال والمكاسب ومد اليد بالسؤال للناس كما يفهمه اهل الكسل والخمول بل تعاطي الاسباب مطلوب والعمل مرغب به والنبي ﷺ هو القائل : (اليد العليا خير من اليد السفلى) وقال تعالى يصف أصحاب نبيه عليه السلام :) رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار) ومن تأمل في سيرة الصحابة رضي الله عنهم علم صدق ماقلناه ، واحقية ما ذكرناه . فعثمان رضي الله عنه جهز جيش العسرة وأبو بكر أنفق ماله كله في سبيل الله وغيرهما كثير اذن فالمراد بالزهد في الدنيا عدم استشراف النفس لها ، وتعلق القلب بها .

وطول الامل من حب الدنيا والحرص عليها، فمن زادت نهمته ،وقويت رغبته وتكالب على الدنيا وجمع حطامها الفاني ومتاعها الزائل . طال أمله وقوي رجاؤه ، واستقل ماعنده ، وآثر مايفنى على ما يبقى . وطول الأمل هو الذي جعل الناس يتخاصمون ويتنازعون،ويتقاتلون ويتشاحنون، وهو الذى جرأهم على قرب المعصية واقتراف الخطيئة وترك المبالاة بالذنب وعدم الاسراع بالتوبة والندم . فطول الامل

خطر كبير على دين المرء فانه ينسيه ربه والآخرة فيكون سبباً لشقائه الدائم ، وتعسه المستمر .

فليسمع طويل الامل ماقاله سيدنا رسول الله ﷺ في بعض خطبه : (أيها الناس اما رأيتم المأخوذين على الغرة ، والمزعجين بعد الطمأنينة الذين قاموا على الشبهات ، وجنحوا الى الشهوات حتى أتتهم رسل ربهم فلا ما كانوا أملوا أدركوا ولا الى مافاتهم رجعوا فندموا على ماعملوا ، وندموا على ماخلفوا فلم يغن الندم ، وقد جف القلم) وليتأمل طويل الامل كيف عاب النبي ﷺ على اسامة طول امله فقال: (أما تعجبون من اسامة: المشتري بصبر شهر إن اسامة لطويل الامل والله ماوضعت قدماً فظننت اني ارفعها ولا لقمة فظننت أني أسيغها حتى يدركني الموت، والذي نفسي بيده إن ماتوعدون لآت وما أنتم بمعجزين). وكان ابن عمر يقول: اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، واذا أصبحت فلاتنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك) فهنيئاً لمن قصر أمله ، وكثر عمله ، وتعساً لمن طال أمله ، وقل عمله .

والحكمة في تخصيص هاتين الخصلتين كما قاله بعض العلماء : أن احب الاشياء الاشياء الى ابن آدم نفسه فهو راغب في بقائها فأحب لذلك طول العمر وأحب المال لانه اعظم في دوام الصحة التي ينشأ عنها غالباً طول العمر فكلما احس بقرب نفاد ذلك اشتد حبه له ورغبته في دوامه. فالله المسئول ان يحفظنا مما حفظ منه اولياءه . وحمى منه اصفياءه ، ويحيينا في الباقية ، ويكرهنا في الفانية ، ويقصر فينا الامل . ويلهمنا حسن العمل .

الدرس الثاني والخمسون

المرء يحشر مع من أحب

اخرج البخاري في صحيحه عن انس رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال : متى الساعة ، قال وماذا أعددت لها : قال لاشيء إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ فقال أنت مع من أحببت. قال أنس فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: أنت مع من أحببت قال انس فأنا احب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم إن لم اعمل بمثل اعمالهم .

* * *

إشارة سارة لا تعدلها بشارة، وبأحسن اغتبطه أصحاب رسول الله ﷺ اغتباطاً فائقاً وفرحوا به فرحاً عظيماً، وانما فرحوا بهذا الخبر لأنهم كانوا يقيسون أنفسهم على شخص النبي ﷺ في العبادة ، وكان ﷺ يأمرهم بالقصد في العبادة والرفق بأنفسهم في حديث البخاري عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ اذا أمرهم أمرهم من الاعمال بما يطيقون ، قالوا انا لسنا كهيئتك يارسول الله ، ان الله غفر لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه ثم يقول ان اتقاكم واعلمكم بالله أنا) وكأنهم يقولون أنت مغفور لك فلا تحتاج الى كثرة اعمال بخلافنا فرد عليهم بقوله: انا اولى بذلك لاني اتقاكم واعلمكم بالله ومن كان كذلك تكثر أعماله وتعظم عبادته لشدة خوفه من مولاه ، وتمام معرفته بما يليق بجلال من انشاه ، ولذا سروا بما قاله النبي ﷺ لهذا الرجل السائل وقالوا: (فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ انت مع احببت) بحسن نيتك وصلاح قصدك من غير اجهاد في العمل

وزيادة في العبادة ، والحق أن أيمان المرء لايكمل واسلامه لايتم إلا بايثار النبي ﷺ بالمحبة والتعظيم على سائر الخلق اجمعين. ففي الحديث ان رسول الله ﷺ قال: والذي نفسي بيده لايؤمن احـــدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده وفي رواية والناس اجمعين . ومن علامات محبته ايثار رضاه ، والعمل باحكام دينه الذي ارتضاه، وشرعه الذي اصطفاه، ونصر سنته والتأسي به في شمائله العظيمة، وسجاياه الكريمة ، وسيرته المباركة . اما من ادعى محبته ، ولم يؤثر بالعمل شريعته . فتلك دعوة باطلة ، وتبجح كاذب ، لان صاحبهـا لم يقم حجة على صحة دعواه ، واحقية مااداعاه ، ومحبة من آثره واصطفاه .

وفي هذا الحديث الشريف تدرج النبي ﷺ وسلم بالرجل السائل على الاسلوب الحكيم وهو أن يجيب المسئول السائل بما حقه ان يسأل عنه على حد قوله عز وجل (يسألونك عن الاهلة) وفي هذا الحديث سأل الرجل عن وقت الساعة وموعد قيامها ومقتضى الجواب بانها تقوم وقت كذا ولكن لما كان هذا لاينبغي السؤال عنه فانه مما احتفظ به سبحانه بعلمه كما بين ذلك بمواضع شتى في القرآن الكريم كقوله (يسألونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي).

ولهذا سأله عليه السلام قائلا : (وما اعددت لها قال لاشيء الا أني احب الله ورسوله) قال عليه السلام مجيباً له بما حقه والاجدر به ان يسأل عنه (انت من احببت) برفع الحجاب وتمكنك من رؤية من احببته . وليس المراد بالمعية انه في رتبة محبوبه وعلو درجته او القرب من مكانه بل اذا اراد الرؤية قدر على التلاقي ثم قال انس معقباً على هذه البشارة وفرح الصحابة بها (فأنا احب النبي ﷺ وابا بكر وعمر وارجو ان اكون معهم بحبي اياهم وان لم اعمل بمثل اعمالهم) . وانما خص ابا بكر وعمر بالذكر مع النبي ﷺ لما يعلمه من مزيد فضلهما، وعظم قدرهما، وتقديم النبي لهما ففي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إني لواقف في قوم فدعوا الله لعمر بن الخطاب وقد وضع على سريره إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي

يقول رحمك الله اني كنت لارجو أن يجعلك الله مع صاحبيك) يريد النبي وابابكر اي فتدفن معهما (لاني كثيراً مما كنت اسمع رسول الله ﷺ يقول كنت انا وابو بكر وعمر وفعلت وابو بكر وعمر ، وانطلقت وابو بكر وعمر فان كنت لارجو ان يجعلك الله معهما فالتفت فاذا علي بن ابي طالب رضي الله عنه) وفي هذه مزية للشيخين ، وفضيلة للعمرين لم تكن لسواهما ، وفقنا الله لحب نبيه وآله وصحبه وحبهما وحب من يحبهم فعسى ان نحشر في زمرتهم وتحت لواء قائدنا وقائدهم سيدنا رسول الله ﷺ. واعظم بهذه المقالة من شهادة حق وكلمة صدق ، أداها كما سمعها ووعاها من رسول الله ﷺ سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه .

الدرس الثالث والخمسو

صبره عليه السلام على نسائه وتنزله لعقولهن

اخرج البخاري في صحيحه عن انس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان عند بعض نسائه فأرسلت احدى أمهات المؤمنين مع خادم بقصعة فيها طعام فضربت يدها فكسرت القصعة فضمها وجعل فيها الطعام وقال كلوا وحبس الرسول والقصعة حتى فرغوا فدفع القصعة الصحيحة وحبس المكسورة .

* * *

الرجل بحكم فطرته وأصل طبيعته ، اكمل من المرأة عقلا ، واوسع ادراكا وادق ملحظا ، وأجلد على الصبر واحتمال المكروه والأذى ، ولذا جعله الله عليها قائماً ، ولأمرها حافظاً ، ولها مراقبا وساعيا ، قال تعالى : (الرجال قوامون على النساء) وقال(وللرجال عليهن درجة) .فيجدر بالرجل العناية بزوجته ومساعدته لها واحترامها وصيانتها والرفق بها والاغضاء عن زلتها ، وغض الطرف عن خطيئتها والصبر على هفواتها الا أن تفحش فيرشدها الى الطريق الاسلم ، والمنهج الاقوم ، برفق ومناصحة . ولين ومسامحة كما امره الله تعالى وكما أوصاه نبيه ﷺ . ففي حديث البخاري عن ابي هريرة (واستوصوا بالنساء خيراً فانهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء) . وقوله خيركم خيركم لنسائه واكمل المؤمنين احسنهم خلقاً مع زوجته) . وغيرها من الوصايا الكثيرة . وينبغي للرجل أن يسلك مع زوجته لسيرة الحسنة ، وان لا يظلمها شيئاً من حقوق الزوجية الواجبة لها ، وأن يسمح

لها بزيارة والديها وأسرتها ولا يجوز له أن يمنعها من زيارتهم كما يفعله بعض الحمقى من الرجال والجهلة من العامة لما يتسبب عليه من العقوق المعلوم حرمته ، والبين ضرره ، وان يكون حليما يصبر على ما يرى منها من شدة أو مكروه لدوام الالفة وتحصيل الراحة وله بذلك خير قدوة بالسيد الحكيم ﷺ في صبره على نسائه ، واحتماله المكروه منهن رغم مؤامراتهن الكثيرة ، وتخريبهن المعروف . وحسبنا من ذلك ما سنورده على سبيل الاشارة والتلميح. في حديث البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن نساء رسول الله ﷺ كنّ حزبين : فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة ، والحزب الآخر فيه أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة فاذا كانت عند احدهم هدية يريد أن يهديها الى رسول الله ﷺ أخرها حتى إذا كان ﷺ في بيت عائشة بعث صاحب الهدية بها الى رسول الله ﷺ في بيت عائشة . فكلم حزب أم سلمة فقلن لها كلمي رسول ﷺ يكلم الناس فيقول:من أراد أن يهدي الى رسول الله ﷺ هدية فليهدها اليه حيث كان من نسائه فكلمته ام سلمة بما قلن لها فلم يقل لها شيئاً فسألنها فقالت ماقال لي شيئاً فقلن لها فكلميه قالت فكلمته حين دار اليها أيضاً فلم يقل لها شيئاً فسألنها فقالت ما قال لي شيئاً فقلن لها كلميه حتى يكلمك فدار اليها فكلمته فقال لها لا تؤذيني في عائشة فان الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة قالت:فقلت:أتوب الى الله من اذاك يارسول الله .ثم انهن دعون فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأرسلت الى رسول الله ﷺ تقول:إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت أبي بكر فكلمته فقال يابنية ألا تحبين ما أحب فقالت بلى فرجعت اليهن فأخبرتهن فقلن ارجعي اليه فأبت ان ترجع فأرسلن زينب بنت جحش فأتته فأغلظت وقالت:إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت ابن ابي قحافة فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهي قاعدة فسبتها حتى ان رسول الله ﷺ لينظر الى عائشة هل تكلم قال فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى اسكتتها قالت فنظر النبي ﷺ الى عائشة وقال:(انها بنت ابي بكر)

يريد بذلك عليه السلام أنها شريفة عاقلة عارفة كأبيها بأنساب العرب ومناقب مضر ومثالبها فلا يستغرب منها إفحامها لزينب بأمور خفية متعلقة بالانساب لا يعرفها غيرها .

فتأمل في هذه الحادثة وتحزب امهات المؤمنين وتكرير مراجعتهن للنبي الكريم يناشدنه العدل ويبتغينه الرحمة وهو سيد من عدل وإمام من رحم . ثم اغلاظ زينب بالقول ورفع الصوت ومشاجرتها لعائشة والنبي ﷺ ساكت لم يقل كلمة ولم يؤنب منهن واحدة واحتمل ما دار بينهن وما كان منهن بصدر رحب وحلم واسع وصبر منقطع النظير تشريعاً لامته من بعده وتعليماً لاصحابه مكارم الاخلاق والحلم على النساء .

هذا مثال بسيط من أمثلة كثيرة أوردناه لعله يكون تذكرة لاولئك الرجال القساة ، والافظاظ الغلاظ الذين يسيئون العشرة والتدبير فيفقدون الراحة والهناء

وما سقناه في حديثنا أمر سهل بالنسبة لما كان يفعله ﷺ من التنزل لعقولهن ومراعاة شعورهن في وقائع عديدة ، وقصص كثيرة ،وذلك كمسابقته عليه السلام لعائشة أم المؤمنين وسبقها له . ثم بعد آونة من الزمن تسابقا أيضاً فسبقها عليه السلام فقال لها ياعائشة:هذه بتلك . وكما تحدثنا عائشة كما عند البخاري أنها زفت أمرأة الى رجل من الانصار فقال نبي الله ﷺ:ياعائشة ما كان معكم لهو فان الانصار يعجبهم اللهو) . وفي رواية فهلا بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني،قلت:ما ذا تقول ،قال: تقول :

أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم
ولولا الحنطة السمرا ما سمنت فتاياكم
وفي أخرى لولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم
ولولا الحنطة السمرا ما سمنت عذاريكم

وفي حديثنا بينما كان النبي ﷺ في حجرة عائشة إذ بأم سلمة ينضج طعامها

قبل طعام عائشة فترسل قصعة من الطعام مع خادم لها الى النبي ﷺ وهو في بيت عائشة فتغار لذلك فتأخذ القصعة وترمي بها فتكسر فيضمها عليه السلام ويلتقط الطعام بيده من غير ان يؤنبها — على الاقل — على ما عملته ، أو يزجرها عما فعلته . فهذا غاية العشرة الحسنة ، ومنتهى الأخلاق الكريمة ، فبمثل هذا فليقتد المقتدون وليتأس العاملون .

وليس المراد مما قدمناه أن يغفل الرجل زوجته على غاربها ، ولا يتفقد شأنها ولا يراقب سيرها ، وانما يتوسط في العمل ، ويلبس لكل حال لبوسها فان اقتضى الأمر الشدة واظهار الغضب حيث لا ينفع لين الكلام فليظهر ذلك ،والا فلتكن سياسته الحلم والاغضاء والعفو والرخاء .

الدرس الرابع والخمسون

وفاؤه صلى الله عليه وسلم ليتأسى المسلمون به

أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة ، فربما قلت له : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول : انها كانت وكانت وكان لي منها ولد .

* * *

لمحة يسيرة نذكرها في فضائل أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، ومدى وفائها للنبي ﷺ ، وما برزت به في مختلف الوقائع والحوادث من اعمال جليلة ، ومناقب حسنة ، وتثبيت لفؤاد النبي ﷺ ، وتقوية لجنانه؛ وحسن وفائه عليه السلام لها حتى بعد موتها .

كانت السيدة خديجة في الجاهلية سيدة وقورة ذات مال ويسار ،وجاه وشرف تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه . فلما سمعت ما يتحدث به الناس ، ويتناقله العارفون عن السيد من الامانة وصدق الحديث ، وحسن السيرة ، وكريم الشمائل ما لم تسمعه عن غيره حتى سماه قومه الامين ، استأجرته ليخرج في مالها تاجراً وتعطيه افضل ما كانت تعطي غيره ، فسافر عليه السلام بقصد الاتجار إلى الشام يصحبه غلامها ميسرة فباعا وابتاعا وربحا ربحاً عظيما، وظهر للسيد الأمين في هذه السفرة من البركات ، وإفاضة الخيرات ، وخوارق العادات ما أنزل حبه في قلب

ميسرة غلام خديجة ، وكانت سنه عليه السلام في هذه السفرة خمساً وعشرين سنة وهي السفرة الثانية من أسفاره الى الشام .

ولما رجع قافلا من الشام وقدم مكة ورأت خديجة ما كان على يديه من ربح عظيم ، وبركات وفيرة ، وما اتحفها به غلامها ميسرة مما شاهده من حسن سيرته ، وعظيم بركاته . كل ذلك حفز في نفس خديجة وحببه اليها فلم تتمالك نفسها وكان سنها نحو الاربعين ، وهي كما وصفنا وأضاف ما وصفنا من كرامة محتدها وشرف حسبها ونبل قومها ، وسعة مالها فأرسلت اليه تخطبه لنفسها فقام الأمين عليه السلام ينجز رغبتها ، ويجيب طلبتها ، واستدعى اعمامه حتى دخل على عمها عمرو بن أسد فخطبها منه بواسطة عمه ابي طالب فزوجها عمها .

وهنا سنكل القاريء اللبيب الى حدة ذهنه ، ووفرة ذكائه وحسن استنباطه ، وقوة مدركه ليفهم ما اشتملت عليه هذه الحادثة من أسرار ورموز ، ومغريات ومحببات في شخصه عليه السلام ، وكيف سطع نوره ،وأشرقت شمسه على خديجة حتى أرسلت اليه تخطبه ، ولنفسها تطلبه ، رغم كثرة الخطاب ، ووفرة الأزواج

وفي هـذا اليوم يوم خطبة إمنا الجليلة ، وسيدتنا النبيلة قام أبو طالب عم رسول الله ﷺ خطيباً فقال : الحمدلله الذي جعلنامن ذرية ابراهيم ، وزرع اسماعيل وضئضئي[1] معد،وعنصر مضر ، وجعلنا حضنة بيته ، وسواس حرمه ، وجعله لنا بيتاً محجوباً ، وحرماً آمنا ، وجعلنا حكام الناس . ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لايوزن به رجل شرفا ونبلا وفضلا ، وإن كان في المال قل ، فان المال ظل زائل ، وأمر حائل ، وعارية مستردة ، وهو والله بعد هـذا له نبأ عظيم ، وخطر جليل ، وقد خطب اليكم رغبة في كريمتكم خديجة . وقد بذل لهـا من الصداق كذا وعلى ذلك تم الأمر .

ولقد صدق أبو طالب في حدسه ، وأصاب في فراسته ، وبر في قـوله ، فلقد

---

(١)الضئضىء : في اللغة الاصل.

كان للسيد الكريم بعد ذلك اليوم نبأ عظيم ، وخطر جليل عرفه الناس وشاهدوه.

ولما اكرمه الله برسالته ، وشرفه بنبوته ، كانت خديجة أسرع الناس به إيمانا ، ولدعوته تصديقاً ، وله إجابة ولم تنتظر آية أخرى زيادة على ما علمته من مكارم أخلاقه ، وما سمعته من خوارق العادات التي كانت تظهر على يديه .

وأول ما بديء به الوحي الرؤيا الصادقة فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء والعزلة عن البشر فكان يخلو بغار حراء[1] فيتعبد فيه الليالي ذوات العدد كما في حديث البخاري فتارة يمكث عشرة وتارة اكثر الى شهر وكانت عبادته إذ ذاك على الشريعة الحنيفية دين أبيه ابراهيم عليه السلام ، ويأخذ زاده فاذا نفذ زاده رجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه مبلغ الوحي ، وملك السماء جبريل عليه السلام وهو في غار حراء .

فبينما هو قائم على الجبل إذفاجأه شخص وقال : أبشر يامحمد أنا جبريل ،وأنت رسول الله الى هذه الامة . ثم قال له : إقرأ قال : ما أنا بقارىء ، يريد بذلك أنه أمي لم يتعلم القراءة من قبل ، فأخذه فغطه بالنمط الذي كان ينام عليه حتى بلغ منه الجهد ثم ارسله فقال : اقرأ قال ما أنا بقارىء فأخذه فغطه ثانية ثم أرسله فقال : إقرأ قال : ما أنا بقارىء فأخذه فغطه الثالثة ثم ارسله فقال : (إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) . فرجع عليه السلام مذعوراً خائفاً يرجف فؤاده ، ولا يتمالك نفسه من هول المنظر وشدة ماألم به . فدخل على خديجة زوجه فقال :[2] زملوني زملوني ليزول عنه ما يجده من القشعريرة التي انتابته من رؤية الملك فزملوه حتى ذهب عنه الخوف فذكر لخديجة الأمر ، وأخبرها الخبر قائلا : لقد خشيت على نفسي من شدة ما أصابني من غط الملك لي . ولم يكن عليه السلام يعرف شيئاً عن

---

(١) حراء : جبل على مقربة من مكة .

(٢) زملوني : لفوني في ثوبي .

جبريل ووصفه وأشكاله . فأجابته السيدة خديجة على الفور ووقفت ذلك الموقف المشرف في تثبيت فؤاده ، وتهدئة اعصابه ، وتقوية دواعي الأمل فيه قائلة : كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق فلا يسلط الله عليك الشياطين والأوهام ولامراء أن الله اختارك لهداية قومك .

ثم لم تكتف بهذا القدر من القول بل أرادت أن تتثبت ممن لهم علم بحال الرسل واطلاع على أخبارهم بما قرؤوه في الكتب القديمة فانطلقت به حتى أتت ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت له خديجة يابن عم اسمع من ابن اخيك ، فقال يابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره عليه السلام خبر ما رأى ، فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ، لانه يعرف أن واسطة الوحي بين الله وانبيائه هو جبريل عليه السلام ، ثم قال : ياليتني فيها جذعاً (١) إذ يخرجك قومك من بلادك التي نشأت بها لمعاداتهم إياك وكراهيتهم لك حينما تطالبهم بتغيير اعتقادات وجدوا عليها آباءهم ، فكان قول ورقة موضع استغراب النبي ﷺ لما يعرفه من حب قومه له لاتصافه بصدق الحديث ، والأمانة ، ومكارم الاخلاق حتى سموه الأمين ، وقال : أومخرجي هم قال لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي على حد ماجاء في القرآن الكريم (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا)، ثم قال ورقة مستأنفاً : وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً . ثم توفي ورقة بعدها بقليل .

هذا نموذج من مناقب إمنا وام المؤمنين خديجة ومواقفها إزاء ما كان يحدث للنبي الكريم ، والسيد الأمين ﷺ . ولذا كان عليه السلام يبادلها الوفاء بالوفاء والاخلاص بالاخلاص ، وكان يحنو اليها ويديم ذكرها حتى بعد موتها .

---

(١) جذعاً : شابا جلداً .

وتحدثنا السيدة عائشة رضي الله عنها فتقول: (كان النبي ﷺ يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها اعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة) أي أصدقائها كما تؤيده الرواية الثانية ، وهذا من أسباب الغيرة لما فيه من الاشعار ببقاء ودها ، واستمرار حبه لها وإخلاصه حتى كان يتعهد أصدقاءها بالاهداء والعطاء بعد موتها. ولذا كانت السيدة عائشة تشتد غيرتها على عادة النساء ، ويقوى وجدها كما تحدثنا عن نفسها قائلة : (ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها) وفي حديث البخاري عن عائشة ايضاً قالت : استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك فقال :اللهم هالة قالت : فغرت فقلت : ماتذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيراً منها) فكان يجيبها كما في آخر هذا الحديث الذي نعاني شرحه (فيقول إنها كانت وكانت) ولم يرد التثنية وإنما اراد أن يفخم شأنها ويعظم فضلها على حد الآية الكريمة (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً) والمراد كانت فاضلة ، وكانت عاقلة وعند احمد من طريق مسروق عن عائشة) آمنت بي اذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها اذ حرمني الناس ، ورزقني الله تعالى ولدها إذ حرمني اولاد النساء) . وكان جميع اولاده عليه السلام منها عدا ابراهيم فانه من مارية القبطية .

ومما يتجلى واضحاً ويرى ظاهراً في هذا الحديث ما كانت عليه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من صحة النقل وصدق الحديث تعريضاً لذكر فضائل ضرتها خديجة أم المؤمنين ، وخشية أن تكتم مالا يحل كتمه في الدين . وتأمل كيف تذكر عن نفسها شدة الغيرة عند تفضيل النبي خديجة عليها مما يكف عن ذكره كثير من الناس ممن لايراعون الأمانة في النقل ويحسبون أن الاغضاء عنه لا يعد خيانة في الدين .

فلله در عائشة ماأورعها وأصدقها ،وأدقها وأذوقها ، ولا غرو فهي ابنة الصديق الاكبر ، وزوج النبي الأطهر ومن نزل ببراءتها وصدق عفتهـا آيات مبينة ، وكما قال سيدنا أسيد بن حضير (ماهي باول بركتكم يا آل ابي بكر) الغرر ، بل لكم مناقب كثيرة وفضائل لاتعد ولا تحصر .

وتوفيت خديجة البارة قبل الهجرة بثلاث سنين وحزن عليها رسول الله حزناً شديداً لمـا كان لها من اعمال نبيلة ، وآراء سديدة ، وجاه عريض في قومها بني أسد ومنها القاسم الذي كان يكنى به سيدنا رسول الله ﷺ وسائر ولده سوى ابراهيم كما قدمناه آنفاً . وبوفاتها انطفأ مصباح منير وعون كبير ليتمثل النساء باعمالها في حسن الوفاء والاخلاص ، فانها امرأة ولكنها خير من الرجال ، ولهذا استحقت أجر العاملـين ، وثواب المخلصين ، وجاءتها البشارة من رب السماء على لسان جبريل الامين قائلا : (يارسول الله هذه خديجة قد اتت معها إناء فيه إدام أو طعام أوشراب ـ شك من الراوي وذلك عند ما كان عليه السلام في غار حراء ـ فاذا هي اتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرهـا ببيت في الجنة من قصب ـ لؤلؤ مجوف كما في الكبير للطبراني ـ لاصخب فيه ولا نصب) . وإقراء السلام من الله لخديجة لعمري خاصة لم تكن لسواها . ومزية فاقت بها من عداها وفي رواية الطبراني زيادة فقالت : هو السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريـل السلام . وزاد النسائي من حديث أنس وعليك يارسول الله السلام ورحمة الله وبركاته ، وتأمل كيف جعلت مـكان رد السلام على الله تعالى الثناء عليه سبحانه، ثم غايرت بين ما يليق بالله وبين ما يليق بغيره ، وفيه دلالة على قوة مدركها ، ورجحان عقلهـا ، وسلامة ذوقها ، ووفرة ذكائها رضي الله عنها .

الدرس الخامس والخمسون

حسن الصحبة بمشهد من مشاهد المقداد

رضي الله عنه

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : شهدت من المقداد بن الاسود مشهداً لان أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به ،اتي النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال : لانقول كما قال موسى : إذهب أنت وربك فقاتلا ولكنا نقاتل عن يمينك ، وعن شمالك ، وبين يديك وخلفك فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره .

* * *

حقاً إنه مشهد عظيم لا تعدله المشاهد ، وموقف شريف دونه المواقف . وغاية نبيلة دونها الغايات ، وكلمة حق ونصرة عزيزة دونها النصر والكلمات ، فهنيئاً لك يامقداد على ما وفقت اليه من الحق والسداد ، في نصرة خير العباد ، وكم من أناس بعدك سمعوا مقالتك ووعوا كلمتك ، غبطوك على موقفك الكريم من السيد الحكيم ، وتمنوا أن لو كان التوفيق حليفهم ، وعناية الله مدركتهم ، ليجاروك في ميدان الفضيلة والشرف ، وحلبة السبق والكمال ، وها هو ذا عبد الله بن مسعود يصارح بقوله ، ويجاهر بقصده ، ويتمنى أن لو تلك السعادة ادركته ، وعناية الله شملته ، ليكون صاحب الموقف المذكور ، والعمل المبرور والنصرة الحقة ، فهو يقول : (شهدت من المقداد بن الاسود مشهداً لان أكون صاحبه أحب الي مما

عدل به) من متاع الدنيا ونفيسها ، وجوهرها وثمينها ، وغاليها ورخيصها ، ولا تحسبن يامقداد أن هذه المقالة لم تهج في غير صدر ابن مسعود بل هاجت في صدور الصحابة بأجمعهم ، وحركت منهم ما كمن في نفوسهم وركن في افئدتهم وتقوى في صدورهم ، حركت منهم عوامل الشجاعة والبسالة ، ودواعي النصرة والمفاداة ، وهل يرضون وهم من اختارهم الله لصحبة نبيه ، واعلاء كلمته ، ونصرة دينه ، والذب عن شريعته ، أن يقرنوا أنفسهم بشرار الانسانية وأنذالها ، ولصوص الاعراض وخوانها ، وأن يساووا أنفسهم بمن غضب الله عليهم ولعنهم ، وأذلهم وقهرهم ، وأعد لهم العذاب الأليم واللعن الكبير . لا لا فان نفوس الصحابة وثابة الى المجد والعلو ، والرفعة والزهو ؛ ومتفانية في سبيل نصرة الله والحق ، والثأر من أعدائه ومعاندي أحكامه ومروجي الفساد في الارض ، غير أن الله شملك بعنايته وحفك بتوفيقه ، واختارك لهذا الموقف الميمون ، ليتحفك بالاجر المصون ، والذكر العاطر والثناء الطيب على مر الايام والعصور ، والازمان والدهور ، واكثر الله في المسلمين امثالك . وفي صفوف الموحدين رجالك ، ولا عدم المسلمون أهل العزة والاباء ، والنجدة والسخاء ، وقال المقداد مقالته على ما ذكره ابن اسحاق لما وصل ﷺ إلى الصفراء وبلغه أن قريشاً قصدت بدراً وأن ابا سفيان نجا بمن معه فاستشار الناس فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فأحسن ، ثم عمر رضي الله عنه كذلك ، ثم المقداد فذكر نحو ماقال في هذا الحديث وزاد والذي بعثك بالحق نبياً لو سلكت برك الغماد لجالدنا معك من دونه ، فقال أشيروا علي : قال : فعرف أنه يريد الانصار وكان يتخوف أن لايوافقوه لانهم لم يبايعوه إلا على نصرته ممن يقصده لا ان يسير بهم الى العدو فقال لـــه سعد بن معاذ رضي الله عنه : امض يارسول الله فيما أمرت به فنحن معك قال . فسره قوله ونشطه .

هذه مواقف محمودة ، واعمـال مجيدة ، وتضحيات غريبة للصحابة الكرام استطاعوا بفضلها أن يحققوا ماجاء في الآية الكريمة (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم).

الدرس السادس والخمسون

الناس سواسية في أحكام الله وحدوده

اخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة من بني مخزوم سرقت فقالوا من يكلم النبي ﷺ فيها : فلم يجترىء أحد أن يكلمه ، فكلمه أسامة بن زيد فقال : إن بني اسرائيل كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه لو كانت فاطمة لقطعت يدها .

* * *

من أحكام ديننا ، ووحي قرآننا ، وتعاليم نبينا ﷺ المقررة الثابتة ، أن الناس سواسية كأسنان المشط ، فلا فضل لعربي على عجمي ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لسيد على مسود ، ولا لملك على مملوك إلا بالتقوى . فالمعيار الصحيح ، والميزان الحق للتفاضل بين الأفراد والجماعات ، والترجيح بين مختلف الطبقات والهيئات ، ماجاء في القانون الالهي عن رب الأرض والسموات . (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ولم يقل سبحانه أن الكريم عنده من عظم ماله ، وكثر رجاله ، واستسلم له الناس طائعين ومكرهين ، بل الكريم عنده من اتصف بالتقوى ، وراقب الله في السر والنجوى ، وعامل الناس بالمساواة ، ولم يراع الرتب والدرجات ، والحسب والبيوتات ، والشرف والسيادات ، وسوى بينهم وفق تسوية الله لهم في الواجبات ، والحدود والعبادات فتجد في موقفي المرء بالصلاة والحج ، وكيف يتساوي فيه المأمور والأمير ، والعظيم والحقير ، والغني والفقير ، والمملوك والوزير ، وكلهم بلسان واحد ولهجة صادقة يؤدون العبادة لمولاهم العلي الكبير ، وهم معترفون

بشدة الافتقار اليه والعجز والتقصير ، فتلك هي المساواة كل المساواة التي جاء بها الاسلام ، ودعا اليها نبينا عليه السلام ، ومكنها في نفوس أصحابه أيما تمكين . وهي التي حملت سلمان الفارسي أن يقاطع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو على المنبر مسترسل في خطبته وهو يقول : إسمعوا رحمكم الله . فقام اليه سلمان رضي الله عنه فقال : والله لانسمع ، والله لانسمع فقال : ولم يا أبا عبد الله ؟ فقال يا عمر : تفضلت علينا بالدنيا فرقت علينا برداً برداً ، وخرجت تخطب في حلة منها فقال : أين عبدالله بن عمر فقال ها أنا يا أمير المؤمنين قال لمن أحد هذين البردين اللذين علي قال لي : فقال لسلمان : عجلت علي يا أبا عبد الله إني كنت غسلت ثوبي الخلق فاستعرت ثوب عبد الله . قال : أما الآن فقل نسمع ونطع . وهي هي التي جرأت عمر بن الخطاب أن يعلو سعد بن أبي وقاص بالدرة وذلك أن عمر أتي بمال فجعل يقسمه بين الناس فازدحموا عليه فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس حتى خلص اليه ، فعلاه عمر بالدرة وقال : أقبلت لاتهاب سلطان الله في الأرض فأحببت أن أعلمك ان سلطان الله لايهابك . وهي التي حملت عمر أن يقيم الحد على ولده وأن ينصف من نفسه في قصص مشهورة .

هذه تعاليم الاسلام ، وحبهم المساواة وايثار العدل في الاحكام ، وتأمل ماجاء في الحديث الشريف وما قاله نبينا ﷺ .

وذلك (ان امرأة من بني مخزوم) تسمى فاطمة بنت الاسود (سرقت) حلياً في أحد الغزوات يستوجب القطع لبلوغه النصاب وإقامة حد السرقة (فقالوا من يكلم النبي ﷺ فيها) حتى لايقطع يدها (فلم يجترىء أحد أن يكلمه في ذلك) لما يعلمونه من حرص النبي ﷺ على تنفيذ أحكام الله ، وشدته على من خالف أمره ووصاياه ، وخرق الحدود الشرعية استهتاراً وعدم مبالاة ، ثم تجاسر أسامة لما يعلمه من حبه له ، وعطفه عليه ، (فكلمه — فقال) عليه السلام له ولغيره (إن بني اسرائيل كان اذا سرق فيهم الشريف) صاحب العزة والمنعة في قومه (تركوه)

فلم ينفذوا حكم الله به (واذا سرق فيهم الضعيف قطعوه) استهانة به لضعفه (لو كانت) السارقة (فاطمة) بنت محمد ﷺ وحاشاها ذلك (لقطعت يدها) ، ونفذت حكم الله بها ، وهي اقرب الناس إلي ، واعز اهلي علي .

وفي هذا درس عظيم للقضاة والحكام ، وان يكون نصب اعينهم المساواة والعدل في الأحكام ، ولا يمنعهم عاطفة ومحبة ، وميل وقرابة ، فأحكام الله اولى بالمراعاة ، واجدر بالانصاف والمساواة ، وفي هذا الحديث منقبة عظيمة لأسامة بن زيد رضي الله عنه .

الدرس السابع والخمسون

الاستشارة

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : المستشار مؤتمن رواه الترمذي وابو داود .

* * *

امر الله نبيه ﷺ بالاستشارة فقال : (وشاورهم في الأمر) ووصف الله أصحاب نبيه بقوله : (وأمرهم شورى بينهم) وإنما أمر الله سبحانه نبيه بما ذكر تنويهاً بجلالة الاستشارة ورفعتها لما تعقبه من فوائد جمة ، ونتائج محمودة ، وتعليماً لأمته من بعده بالحرص عليها ، والعمل على غرارها ، ليأمنوا على أنفسهم من الاستبداد في الرأي ؛ والتشبث بالميول والأهواء ؛ وتطييباً لقلوب أصحابه ؛ وكما قيل قديماً : « ماخاب من استخار ؛ وما ندم من استشار » . وبين الرسول الاعظم ﷺ في هذا الحديث الشريف أن المرء ينبغي أن يخص باستشاراته من عرف برجاحة العقل وسداد الرأي ونقاوة الضمير ؛ والأمانة والاخلاص ؛ ولا يعمد إلى أهل الحمق والطيش ؛ والهوس والجنون . أو الى من لايوثق بأمانته ؛ ويطعن في عدالته ويجرح في حسن قصده وسلامة نيته ، أو من عرف بالخيانة والفساد ، وإفشاء السر وإضرار العباد ، فهؤلاء ليسوا من أهل الاستشارة ، ولا من ذوي المروءة والأمانة ، ولا تضن بنفسك عن الاستشارة فان نبينا ﷺ مع ماأوتيه من الحكمة وسداد الرأي ، والعصمة بالوحي ، أمر بالاستشارة لعظيم أسرارها ، وكثرة فوائدها .

الدرس الثامن والخمسون

نبذ العصبية القبلية وذم دعوى الجاهلية

أخرج البخاري في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال : غزونا مع النبي ﷺ وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا ، وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع أنصارياً فغضب الانصاري غضباً شديداً حتى تداعوا ، وقال الانصاري : يا للأنصار ، وقال المهاجري : يا للمهاجرين ، فخرج النبي ﷺ فقال : مابال دعوى أهل الجاهلية ؟ ثم قال : ما شأنهم ؟ فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري ، قال : فقال النبي ﷺ : دعوها فانها خبيثة ، وقال عبد الله بن أبي بن سلول : أقد تداعوا علينا لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فقال عمر : ألا نقتل يا نبي الله هذا الخبيث لعبد الله ، فقال النبي ﷺ : لايتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه .

* * *

الاتحاد حياة الأمم ، وقوام الشعوب ، وأساس العمران ، والتفرق والتحزب مدعاة الخراب والدمار ، ومؤذن بالزوال والخسران ، والأمة الاسلامية جسم واحد مركب من عناصر شتى ، وقوميات مختلفة هم أعضاء هذا الجسم العامل ، فان تألم أحد الأعضاء والأطراف تألم له الجسم بكامله .

والرابطة الدينية رابطة قوية ، وصلة متينة بين أفراد المسلمين على اختلاف قومياتهم ، وتباين أجناسهم ، حقق الله بها الأخوة بقوله : (إنما المؤمنون إخوة) والدين الاسلامي دين يمجد الروابط الشريفة ، والغايات النبيلة ، ورابطة الدين

لاتمنع صاحبها من المشاطرة ببقية الروابط الاجتماعية ، والأدبية ، والوطنية العاملة كما يتوهمه بعض الأغبياء ، أو يروجه أعداء الأديان من أهل الخبث والدهاء ، ويموهون به على كثير من العامة والجهلاء ، تنفيراً للناس من التدين وتضليلا لعقولهم فليتق الله هؤلاء الأقوام ، وليعلموا أن الدين هو محض خير من الله فانه لايأمر إلا بمعروف وحسن ، ولاينهى إلا عن منكر وقبيح ، وهو الذي يحض أتباعه بموجب القانون الالهي على الوحدة والاجتماع ، وذم التفرق والاختلاف ، وإن شئت فاقرأ قول الله جل شأنه : (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وهو القائل : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) وفي الآية الكريمة أيضاً (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) هذه تعاليم الدين ، وما دعانا اليه ربنا العظيم في القرآن على لسان نبيه ﷺ .

وتأمل ماقاله نبي الاسلام في حديثه (ليس منا من دعا إلى عصبية) وهو الماحي للعصبية الجاهلية ، ومقوض أركانها ، وهادم بنيانها ، وهو الغارس في هذا العالم مبادىء السلم والاخاء ، بعد أن عمه الظلم والشقاء ، وتحكم الأقوياء بالضعفاء ولذا من الله على المؤمنين بالوحدة ، وأمرهم أن يذكروا ما كانوا عليه قبل الاسلام من العداوة والبغضاء ، والتخاذل والشحناء ، ليشكروا الله على ماأولاهم من نعمة ، وشملهم به من رحمة فقال : (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) . وأما حمية الجاهلية من عدم الاذعان للحق ونصرة الباطل فوصف بها سبحانه وتعالى مشركي مكة بقوله : (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) ، وكره النبي عليه السلام العصبية الذميمة المتعارفة عند العرب في الجاهلية من نصرة الاخ أو القريب والحليف وإن كان متعدياً ظالماً ، ومن تأخر عن هذه النصرة الباطلة أصلاه الشعراء ناراً حامية ، وألصق العار به وبقبيلته المنتمي اليها .

وفي حديثنا يحدثنا الصحابي الجليل (جابر رضي الله عنه قال غزونا مع النبي ﷺ): غزوة المريسيع (وقد ثاب) اجتمع ورجع) معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل) يسمى جهجاه بن قيس الغفاري (لعاب) أي مزاح وقيل : كان يلعب بالحراب كالحبشة (فكسع) أي ضرب (أنصارياً) هو سنان ابن وبرة حليف بني سالم الخزرجي على دبره (فغضب الأنصاري غضباً شديداً حتى تداعوا) أي استغاث كل منهما بقبيلته يستنصر بها على صاحبه على عادة الجاهلية وعصبيتهم (وقال الأنصاري يا للأنصار ، وقال المهاجري يا للمهاجرين فخرج النبي ﷺ فقال مابال دعوى أهل الجاهلية ثم قال ماشأنهم فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري قال) جابر (فقال النبي ﷺ دعوها فانها خبيثة) لما يترتب عليها من مفاسد وشرور ، ومساوىء وفتن وهو نتيجة من نتائج الجهل وعدم التثبت . وفي هذه المنازعة أراد رأس المنافقين (عبد الله بن أبي بن سلول) أن يقوي لهيبها ، ويضرم نارها كيداً للاسلام والمسلمين ، وشقاً لعصى المودة والالفة بين المؤمنين ، فقال كلمته الخبيثة بخبث النية وفساد الطوية وسوء السريرة : (أقد تداعوا علينا) أي واستغاثوا يريدون مقاومتنا (لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز) يريد نفسه الشريرة الخبيثة (منها الأذل) يريد سيدنا رسول الله ﷺ وقد خاب قوله ، وخسىء ظنه . وأتم الله نوره ، وحفظ نبيه ، وأعز دينه ، ونصر أصحابه وايدهم بنصر من عنده . تألم لهذه المقالة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهاجت نفسه واشتد غضبه نصرة للنبي ﷺ فاستأذنه قائلا : (ألا نقتل يانبي الله هذا الخبيث لعبد الله) اي لأجل عبد الله وفي نسخة عبد الله (فقال النبي ﷺ لا) تقتله (يتحدث الناس انه) اي النبي عليه السلام ويريد نفسه (كان يقتل اصحابه) فيكون سبباً للتنفير عن الدخول في الاسلام ، والشوبه الدين ، والصاق مالبس منه به .

الدرس التاسع والخمسون

فضائل آل البيت النبوي الطاهر

أخرج البخاري في صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه قال : جاء العاقب والسيد صاحبا نجران الى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه قال : فقال : أحدهما لصاحبه لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا ، قالوا : انا نعطيك ما سألتنا ، وابعث معنا رجلا أميناً ، ولا تبعث معنا إلا أميناً ، فقال: لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال : قم يا أبا عبيدة بن الجراح ، فلما قام قال رسول الله ﷺ : هذا أمين هذه الأمة .وفي رواية عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : لكل أمة أمين،وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح .

* * *

فضائل آل البيت كثيرة ، ومزاياهم عظيمة وجليلة ، وكفاهم شرفاً وفضلاً أن الله أنزل بهم القرآن قال تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) فافترض الله على كل مسلم مودتهم ، وتعظيم حرمتهم ، وإجلالهم في حياتهم، والوفاء لهم بعد مماتهم . وقال حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه الآية قالت الصحابة من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودتهم يا رسول الله قال :علي وفاطمة وابناها . وقال تعالى : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) روى الترمذي عن عمرو بن ابي سلمة ربيب النبي ﷺ ورضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت)

في بيت أم سلمة رضي الله عنهـا دعى فاطمة وحسناً وحسيناً وخلفهم بكسا وعلي خلف ظهره ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . ومما هو معلوم من الدين بالضـرورة أن محبة النبي ﷺ تستلزم محبة آله ، ومودة قرابته وذويه ، والاحسان لذريته وبنيه ، قال الصديق الاكبر رضي الله عنه : راقبوا محمداً في آل بيته . وقال أيضاً : والذي نفسي بيده لقرابة محمد ﷺ أحب إلي من قرابتي . وكان عمر رضي الله عنه يفضل أسامة بن زيد في العطاء على ابنه عبد الله فقال عبد الله : لم تفضله علي فوالله ماسبقني الى مشهد فقال عمر . لأن زيداً أباه كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك ، وأسامة كان أحب اليه منك ، فآثرت حب رسول الله ﷺ على حبي . فاذا كان السلف من أصحاب رسول الله ﷺ يعظمون مواليه فما بالك بقرابته القريبة ، وذريته الطيبة النجيبة ، من أبناء فاطمة البضعة الزكية ، والسلالة المصطفوية ، ذوي المجد الاثيل ، والفخر العظيم ، فهـم أحرى بالتفضيل ، وأجدر بالمودة والتبجيل . وفي الحديث معرفة آل محمـد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط ، والولاية لآل محمد أمان من العذاب . ورحم الله إمامنا عالم قريش محمد بن ادريس الشافعي فانه لمـا صرح بمحبته لآل البيت رماه بعض الناس بالرفض ، ولمـا صرح بمحبته للصحابة والشيخين رموه بالنصب فقال في ذلك مردداً .

اذا نحن فضلنا علياً فانـا ... روافض بالتفضيل عند ذوي الجهل
وفضل أبي بكر اذا ماذكرته ... رميت بنصب عند ذكري للفضل
فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما ... بحبهما حـتى أوسد في الرمل

وله في هذا المعنى أقوال كثيرة وهو القائل :

يال بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله في القرآن انزله
يكفيكم من عظيم القدر انكم ... من لم يصل عليكم لا صلاة له

وإن من أقوى الأدلة ، وأنصع البراهين ، وأدمغ الحجج على فضل اصحاب

العبا ، واهل الكسا ماذكره الله في آية المباهلة بقوله : فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فان الله سبحانه وتعالى خاطب نبيه محمداً ﷺ بقوله ماممناه : من اراد مجادلتك ، وابتغى محاججتك من النصارى او غيرهم من اهل الكتاب فليدع كل منكم خاصة اهله من ذكور وإناث على ماورد في الآية الكريمة ثم ليجتهد الفريقان بالدعاء ، ويغلظا في الأيمان فعندها يتبين الصادق من الكاذب والمحق من المبطل ؛ (جاء العاقب) واسمه عبد المسيح (والسيد) واسمه الايهم او شرحبيل (صاحبا نجران) اي من اكابر نصارى نجران وحكامهم وكان السيد رئيسهم ، والعاقب صاحب مشورتهم (إلى رسول الله ﷺ يريدان ان يلاعناه) وكان معهما ايضاً ابو الحارث بن علقمة وكان اسقفهم وحبرهم وصاحب مدارسهم ، وكان النبي ﷺ فيما ذكره إبن سعد دعاهم إلى الاسلام ، وتلا عليهم القرآن فامتنعوا فقال : إن انكرتم ما اقول فهلم بأهلكم ، وخرج النبي ﷺ ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي ، وقال لهم : إذا دعوت فأمنوا فأبوا ان يلاعنوا وصالحوه على الجزية (فقال احدهما لصاحبه : لانفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعننا لانفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا ثم قالا) بعد ان انصرفا ولم يسلما لانباهلك (إنا نعطيك ما سألتنا) وكان عليه السلام قد صالحهم على الف حلة في رجب والف حلة في صفر ومع كل حلة اوقية (وابعث معنا رجلا اميناً ولا تبعث معنا إلا اميناً فقال) صلوات الله وسلامه عليه : (لأبعثن معكم رجلاً اميناً حق امين فاستشرف له) اي لقوله عليه السلام (اصحاب رسول الله ﷺ) يريدون ان يروا من سيخص النبي عليه السلام بهذه المزية (فقال قم يا ابا عبيدة بن الجراح فلما قام قال رسول الله ﷺ : هذا امين هذه الامة) وفي هذا منقبة عظيمة ومزية كبيرة للصحابي الجليل ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه .

وفي الحديث عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : والذي نفسي بيده إن الهلاك قد تولى على اهل نجران ولولاعنوا لمسخوا قردة وخنازيرولاضرم عليهم الوادي نارا .

هـذه لمحة يسيرة ، وعجالة خاطفة سـريعة اوردناها في فضائل آل البيت ومآثرهم ، وذكر بعض مزاياهم ومنـاقبهم على مشرفهم وعليهم افضل الصلاة واتم السلام .

الخاتمة في معجزات الصادق الأمين

صلى الله عليه وسلم

اخرج البخاري في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال : توفي عبد الله بن عمرو بن حرام وعليه دين فاستعنت النبي ﷺ على غرمائه أن يضعوا من دينه فطلب النبي ﷺ اليهم فلم يفعلوا فقال لي النبي ﷺ : اذهب فصنف تمرك أصنافاً ، العجوة على حدة ، وعذق زيد على حدة ، ثم أرسل إلي ، ففعلت ، ثم أرسلت إلى النبي ﷺ فجاء فجلس على أعلاه أوفى وسطه ، ثم قال : كل للقوم فكلتهم حتى أوفيتهم الذي لهم ، وبقي تمري كأنه لم ينقص منه شيء .

* * *

هذا مطلب عظيم الفائدة ، غزير المادة ، جليل النفع آثرنا أن يكون خاتمة كتابنا ومنتهى بحوثنا فعسى الله أن يحسن لنا الختام . ويوفقنا للتأسي بأفعال نبيه عليه السلام .

خص الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بمعجزات ، وآيات دالات على صدق نبوته ، وأحقية رسالته من بين الأنبياء الأخيار ، والرسل الابرار .

فما اكرمه الله تعالى به وميزه به عمن سواه ، القرآن الكريم ، فهو المعجزة الخالدة ، والآية الكبرى ، والشاهد الحق ، والدليل الصدق على ما جاء به نبينا من عند ربه عز وجل . كيف وقد تحدى به عليه السلام أهل الفصاحة والبلاغة ، ومعدن البيان والبراعة ، فوقفوا منه موقف العاجز المستكين ، وهو يدعوهم ويتحداهم على رؤوس الملأ أجمعين . (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا

من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) والصادق من يعارض البيان بالبيان ويدلي على صحة دعواه بالدليل والبرهان ، فوقفوا منه موقف المذعن المقر ، رغم شدة توبيخه ، وعظيم تقريعه ، والمداوة في صدورهم تتأجج وتستعر ، والرب الحكيم ينادي (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) وهو القائل : (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) ولو استطاعوا معارضته لما لجئوا الى حربه ومبارزته ، وكل ذلك فلم ينالوا بغيتهم ولم يصلوا مأربهم رغم شدة غيظهم ، وكبير حنقهم وعصمه الله وأيده ، وأعزه ونصره كما أخبر سبحانه في كتابه في مواضع كثيرة كقوله تعالى :(والله يعصمك من الناس)وقوله: إنا كفيناك المستهزئين)وحسبك أن نبينا مكث بين اعداء الداء ،وخصماء أشرار بمكة ثلاث عشرة سنة وبين نظرائهم من المنافقين واليهود في يثرب عشر سنين فما تمكن أحد من أذاه ، والوصول لمبتغاه ثم نصره عليهم وأظفره بهم . فهذا من اقوى المعجزات ، واوضح الدلالات على صدق سيدنا رسول الله ﷺ . وما بالك بأقوام أيقنوا صدق رسول الله وأنه نبي الله حقاً ، وعبده ورسوله صدقاً ، فأعرضوا عن قبول دعوته ، والاهتداء بارشاده لما ارتكز في نفوسهم من العناد ، المخرج لصاحبه عن مهيع الرشاد ، كما حكى الله عنهم قوله في كتابه : (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم) ولذا قال سبحانه مخاطباً نبيه عليه السلام : (إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) وفي بعض طرق الحديث أن أعرابياً أتى النبي ﷺ يختبره فقال له أأنت رسول الله إلى الخلق ، قال نعم ،قال فما دليلك :فلما علمه الرسول ﷺ أنه قوي البيان فصيح اللسان قال كتاب الله المعجز : فقال الاعرابي أنا آتيك بأبيات إن اتيتني بمثلها أعطيتك مأتي ناقة حمراء قال : قل : فقال الاعرابي :

أحب الفتى ينفي الفواحش سمعه كأن به عن كل فاحشة وقرا
كثير دواعي الحب لا باسطاً أذى ولامانعاً خيراً ولا سامعاً هجرا
اذا رمت ان تحيا سعيداً موفقاً أديباً كريماً ماجداً سيداً حراً
اذا ما بدا من صاحب لك زلة فكن انت محتاجاً لزلته عذرا

فأجابه النبي ﷺ بقوله تعالى : (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة إدفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) فخر الاعرابي ساجداً بين يدي رسول الله ﷺ، قال : لمن تسجد إنما أنا بشر مثلك . قال : اسجد لبلاغة هذا القول واشهد انك رسول الله .

(١) ومن معجزاته عليه السلام انشقاق القمر : فعن انس بن مالك رضي الله عنه ان الكفار سألوا رسول الله ﷺ آية فانشق القمر مرتين وكذا عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما قال ابن عباس : انفلق فلقتين ، فلقة ذهبت ، وفلقة بقيت ، وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتي القمر .

ومنها نبع الماء وتكثير الطعام : وهذا امر مستفيض عن الصحابة رضي الله عنهم رواه الجم الغفير منهم انس قال : رأيت رسول الله ﷺ وقد حانت صلاة العصر فالتمس الناس ماء للوضوء فلم يجدوه فأتى النبي ﷺ بوضوء فوضع في الاناء يده وامر الناس ان يتوضئوا قال فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ الناس حتى توضئوا عن آخرهم فقيل كم كنتم ؟ قال زهاء ثلاثمئة وامثال هذا كثير مشهور .

ومن ذلك تكثير الطعام: كما في حديث جابر بن عبد الله الذي رويناه واشباهه كثيرة في السنة المطهرة .

ومنها قصة حنين الجذع : قال جابر : كان المسجد موقوفا على جذوع نخل فكان عليه السلام اذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار ، وفي رواية وكثر بكاء الناس لما رأوه به وانشق

(١) ذكر بعض هذه المعجزات الخضري في نور اليقين .

حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكت .

ومنها إبراء المرضى وذوي العاهات : فقد اصيبت يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها عليه السلام فكانت احسن عينيه واحدهما ، وامثال هذا كثير ايضاً يعرفه من تتبع كتب السنة .

واما ما اكرمه الله به من إجابة الدعوات وقبول التوسلات فهذا منه الشيء الكثير ، روي عن انس كما في البخاري قال : قالت أمي ام سليم : يارسول الله خادمك انس ادع الله له : فقال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته قال : انس : فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم نحو المئة .

ودعا عليه السلام لسعد باجابة الدعوة فما دعا لاحد إلا استجيب له . ودعا على ابي سعدة كما في حديث البخارى فلبى الله دعاءه .

واما ما اطلعه الله عليه من المغيبات فذلك مما عرفه الخاص والعام ، واشتهر بين الانام ، فعن حذيفة قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه ، قدعلمه اصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه عرفه ، وما ادري انسي اصحابي ام تناسوه ، والله ما ترك عليه السلام من قائد فتنة إلى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمئة فصاعداً إلا قد سماه لنا اسمه واسم ابيه واسم قبيلته . ومنه ما وعدهم به عليه السلام من ظهورهم على الاعداء وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام وظهور الامن وما سيفتح به على هذه الامة من كنوز الارض وزهرة الدنيا وزينتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر واشباهه

هذه لمحة وجيزة من معجزات إمام الرسل ، وقائد الانبياء ، وراس الحكماء ، وبطل الابطال سيدنا محمد رسول الله ﷺ . والحمد لله اولا وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، وهو الموفق للصواب ، واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغر الميامين اجمعين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

ترجمة وجيزة لوالد المؤلف عليه الرحمة

لما كان برّ الآباء واجباً عملا بالحديث المأثور القائل : (بروا آباءكم تبركم أبناؤكم) رأيت أن أختتم الكتاب بترجمة والدي لماله علي من الفضل في تعليمي العلم وتنشئتي في سلك الصالحين فأقول : قبل ان القي القلم وأدع الكتابة رأيت أن واجبي يدعوني لتعريف القراء الكرام عامة ، والبعلبكيين منهم خاصة صورة واضحة عن حياة المغفور له ، العالم الجليل ، والشيخ الوقور ، والمرجع الديني لمدينة بعلبك الحسيب النسيب ، السيد محمود الشماعي الرفاعي الحسيني أبا وأما كما سنبينه واضحاً بعونه تعالى .

* * *

ولادته ووفاته : ولد عليه الرحمة في خلال عام ١٣٠١ هجرية في مدينة بعلبك من أبوين شريفين صالحين واختاره الله للقائه فلبى دعوة ربه وذلك يوم الخميس العشرين من شوال عام ١٣٦٤ هـ بعد أن أبلى البلاء الحسن في أداء الرسالة ونصح الخلق ، والعمل على رفع منار الاسلام ، وبث الفضائل بين الانام ، نسبه الطاهر فهو الشريف السيد محمود ابن السيد علي ابن السيد علي ابن السيد أحمد ابن السيد مصطفى ابن السيد محمود ابن السيد أحمد ابن السيد شمس الدين محمد ابن السيد فخر الدين ابن السيد عثمان ابن السيد زين الدين عبد السميع ابن السيد صدر الدين ابي المكارم ابن السيد تاج الدين ابي المعالي ابن السيد تاج العارفين أبي عبد الله أحمد ابن السيد عطية ابن السيد عبد الله ابن السيد ابراهيم ابن السيد حسين ابن السيد أحمد ابن السيد سليمان ابن السيد ابي الخير محمد ابن السيد تاج الدين أحمد الصيادي

ابن السيد محمد ابن السيد عبد الرحيم الاصغر ابن السيد الامام القطب عز الدين احمد الصياد سبط الحضرة الرفاعية ابن السيد مهد الدولة عبد الرحيم ابن السيد عثمان ابن السيد حسن ابن السيد عسلة ابن الامام أنس علي حازم الملقب بابي الفوارس ابن الامام ابي علي أحمد المرتضى ابن الامام علي ابى الفضل ابن الامام حسن الاصغر الملقب برفاعة ابن الامام محمد المهدي ابن الامام ابي القاسم محمد ابن الامام حسن ابي موسى ابن الامام حسين عبد الرحمن ابن الامام أحمد صالح ابن الامام موسي الثاني ابن الامام ابراهيم المرتضى ابن الامام موسي الكاظم ابن الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر ابن الامام علي زين العابدين ابن الامام الشهيد ذي المجد الاثيل الصحابي الجليل أبي عبد الله وريحانة سيدنا رسول الله الحسن ابن الامام علي بن ابي طالب من السيدة سيدتنا فاطمة الزهراء البتول وبضعة الرسول بنت سيدنا امام المرسلين ، والشفيع المشفع يوم الدين أبي القاسم وخلاصة بني هاشم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وأما نسب الفقيد لأمه فهو ابن السيدة المصونة خديجة بنت السيد علي ابراهيم الجندلي الرفاعي البعلبكي ويجتمعان في الجد العظيم ،الشريف الامام مهد الدولة عبد الرحيم .

وصف اجمالي لحياة الفقيد عليه الرحمة : كان فقيدنا المبرور ممن تعتز بهم بعلبك في كرم اخلاقهم وغزارة علمهم وقوة ايمانهم ،وسداد رأيهم وحسن شمائلهم وكان مثالا صالحاً في الفضائل والكمالات وممن يعتد برأيهم ويرجع الى استشاراتهم في الايام العصيبة .

وكان بوفاته الاسى عاما والحزن شاملا من سائر الافراد والجماعات على اختلاف الطوائف والنحل، لما كان عليه الفقيد من كريم الخلال ،وحميد السجايا والخصال.

وكان إلى جانب ذلك جم التواضع ، يدعو الناس الى التأدب بالآداب العالية ، والاخلاق الكريمة والتأسي بسيرة السيد الحكيم ﷺ ، وكان في مجالس وعظه ،

يحض الناس على الوحدة والاجتماع ، ونبذ التفرق والاختلاف مما كان له أعظم الاثر واكبر الفائدة في تنمية هذه المباديء الصحيحة بين الناس في بعلبك على اختلاف الطبقات، والى التعاون المطلوب في الدين بين الافراد والجماعات، وكان يتمثل بالحديث المأثور (الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله) ولذا كان يتمشى على غرار هذا الحديث فكثرت منافعه ، وعظمت فوائده في بعلبك وقضائها وكان من أبعد الناس عن الرتب والمناصب شديد الورع ، دعي لتولي منصب القضاء الشرعي غير مرة فأبى ، ورشح للافتاء فتنازل عنه رغم إرادة المراجع الدينية الكبرى وتصميمها ، وكان سريع الخاطر حاد الذهن ، حسن الاجابة والنكتة ، ذا مهابة وجلال ووقار وكمال ، دائم التفكر كثير الاعتبار والتذكر ، من الله عليه بالوعي الصحيح وطلاقة اللسان وسهولة الكلام إلى ان لفظ النفس الأخير ، وكان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله محمد رسول الله (ﷺ).

وكان غفر الله له طويل الباع واسع الاطلاع في العلوم العربية والشرعية ، راسخ القدم في علمي الجدل والانساب وله في ذلك مناظرات مشهورة . ومسائل منثورة تشهد بعظيم فضله وكمال علمه وأدبه وكان يدعو لفهم جوهر الاسلام وحقائقه فهما صحيحاً خالياً من كل بدعة وخرافة ، وله في ذلك جولات محمودة وخلد رسائل علمية لم تطبع معظمها في الجدل والمناظرة .

وبهذه الخاتمة الحسنى انتهت حياة فقيدنا الكبير بين جهاد ونضال وتعلم وتعليم فرحمه الله رحمة واسعة ، وأجزل له الثواب والأجر ، وأخلد له الذكر .

شكر

تفضل أصحاب السماحة والفضيلة الأساتذة الكرام فاطلعوا على كتابي هذا وشجعوني بهذه الكلمات التي قرظوه بها فأنا أسجل لهم أعظم الشكر على ما أولوني من عنايتهم وفضلهم.

المؤلف

صورة ما كتبه حضرة صاحب السماحة العلامة الأجل والمفتي الأكبر للجمهورية اللبنانية الاستاذ الشيخ محمد توفيق خالد متع الله المسلمين بحياته .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم وبعد

فقد طالعت هذا السفر القيم مطالعة تدبر وامعان ، ونظرت فيه نظرة تفحص وعرفان . فالفيته صحيحاً في معلوماته ، عذباً في شرح مروياته ، سائغاً في تصنيفه وعمله ، حسناً في أمره كله .

لا سيما والمؤلف الفاضل راعى الى الصحة الفائدة ، وجميل العائدة . فتخير أحاديثه الكريمة تخيراً يرشد التائه الى الطريق ، ويجمع الناس على المكارم الاسلامية بسبب وثيق .

والله اسأل ان ينفع به وبكتابه ، ويجنبه ابداً خطل القول الى صوابه ، ويمد له في نعماء ثوابه ، وهو نعم المولى ونعم المسؤول .

الفقير اليه تعالى

محمد توفيق خالد

وكتب حضرة صاحب السماحة العلامة الكبير بقية السلف الصالح الاستاذ الشيخ محمد علي الانسي رئيس المحكمة الشرعية العليا في الجمهورية اللبنانية مانصه :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

وبعد فقد نظرت في السفر الجليل المسمى الدروس الوعظية في الآداب النبوية الذي الفه العالم النبيل السيد قاسم الشماعي الرفاعي فوجدته حاويا من الدرر النبوية الكافلة للهداية والارشاد ما تقر به العين فجزى الله مؤلفه الفاضل احسن الجزاء ونفع به وبمؤلفه النفع العميم بجاه النبي الكريم عليه افضل الصلاة واشرف التسليم .

في ٤ ذي الحجة سنة ١٣٦٧

الفقير اليه تعالى

محمد علي الانسي

وكتب حضرة صاحب السماحة العلامة الأجل والمفتي الأكبر للجمهورية السورية الاستاذ الشيخ محمد شكري الاسطواني أدامه الله ذخراً للاسلام والمسلمين ماصورته :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حمداً لمن شرف العلماء الاعلام ، بما منحهم به من الفضل التام ، وشكراً له على ما خصهم به من الفهم والافهام ، وافضل صلاة واتم سلام على السيد السند لجميع الانام ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الاعلام . اما بعد فقد اطلعت على هذا الكتاب المسمى بالدروس الوعظيه في الاداب النبويه لمؤلفه الاستاذ السيد قاسم الشماعي الرفاعي فوجدته حاوياً لما تقربه العيون من الاحاديث النبويه ، والدرر المصطفويه ، مع شرحها بتلك العبارات العذبة البهيه ، جعل الله تعالى ذلك خالصاً لوجهه الكريم وجزى المؤلف على عمله المبرور الجزاء العظيم فانه خير مأمول واكرم مسئول

في ٤ محرم الحرام سنة ١٣٦٨ كتبه

محمد شكري الاسطواني

وكتب حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ احمد الدقر مدير معهد العلوم الشرعية للجمعية الغراء بدمشق .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

فان العلماء ورثة الانبياء ، ولا يؤدون الوراثة حقها إلا اذا نقلوا للخلق مجالس رسول الله ﷺ وأقواله لتبقى رسالته عميمة الفائدة دائمة النفع . وهذه أجل خدمة يقوم بها العالم لأن الامة مادامت تحافظ على العمل بما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام تبقى عزيزة قوية متفوقة على الامم كلها كما أبلغنا التاريخ عن سلفنا الاول وبمقدار تباعدها عن هذا تزل وتضعف ، وتسلط عليها الامم ، كما نشاهدها في عهدنا الحاضر ، ولما اطلعت على ما كتبه الاخ مؤلف هذا الكتاب علمت أنه يؤدي حق الوراثة المحمدية ، ويبر بعهد شيخه المرحوم والدي الذي كان يوصي دائماً طلابه بأن لاينسوا انهم وراث محمد ﷺ .

نسأل الله تعالى أن يجعله أداة نفع للعباد ، وأن يكون حظ مؤلفه منه رضاء الخالق الديان القائل في كتابه العزيز (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).

مدير معهد العلوم الشرعيه للجمعية الغراء

أحمد الدقر

وكتب سعادة الاستاذ الاديب والحقوقي اللامع السيد أحمد مظهر العظمة رئيس تحرير مجلة التمدن الاسلامي الغراء وعضو لجنة التربية والتعليم بدمشق .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

تصفحت كتاب (الدروس الوعظية في الآداب النبوية) الذي نظم عقده الاستاذ الشيخ قاسم الرفاعي فرأيته امتاعاً للاسماع بأحاديث رسول الله صلى الله وآله وسلم وشرحها ، وإرواء للقلوب التي يغذيها هديه الكريم ، وتثقيفاً للالسنة بكلام أفصح قريش ، واصلاحاً للمجتمع الذي لا يصلح الآن إلا بما صلح به من قبل : هداية الله ورسوله وأجدر بأحاديث ذي الخلق العظيم الذي بعثه ربه سبحانه ليتمم مكارم الأخلاق أن يكون لها من النفع ما للغيث السخي وقد أصاب أرضا صالحة متعطشة الى ريه .

فجزى الله المؤلف الجزاء الأوفى .

في ١٩ ذي الحجة ١٣٦٧ هـ

أحمد مظهر العظمة

وكتب حضرة صاحب الفضيلة العالم الورع الاستاذ الشيخ محمد بلنكو مدرس محافظة حلب مانصه :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

احمد الله على ما كتب لي من التشرف ببلدة بعلبك والتعرف على فضيلة الاستاذ الكريم الشيخ قاسم افندي الرفاعي مؤلف هذا الكتاب وقد قلبت نظري في بعض صحفه فوجدته نزهة للناظرين وقدوة للسالكين نفع الله به الاسرة الرفاعية وجميع المسلمين واني لأسأل الله أن يتم على المؤلف نعمته ويعظم أجره انه سميع مجيب .

مدرس محافظة حلب

محمد بلنكو

وكتب حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاديب الشيخ عبد الغني الدقر

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

يشرف العلم بشرف غايته ، وليس هناك من العلم اشرف من العمل على بث روح التدين في النفوس ، واشرابها مخافة الله ، والسعي في طلب رضاه ، ولقد عمد الاستاذ الشيخ قاسم الرفاعي الى تأليف هذا الكتاب ، استجابة الى ما يخفق في نفسه الطيبة من دين صحيح ، واخلاق مرضية ، مقتدياً في ذلك بأئمة سبقوه من اهل الهدى ، ومن جعل وجهته رضاء الله ، لا يخيب الله رجاه ، نفع الله الناس بهذا التأليف الطيب ، وزاد المؤلف من فضله ، ورزقنا الاخلاص في الاعمال كلها انه حميد مجيد .

عبد الغني الدقر

محتويات الكتاب

صفحة		صفحة	
٣	الاهداء	٤٩	الابتعاد عن مواطن التهم
٥	المقدمة	٥٢	عقاب من قتل نفسه
٧	النيات وأثرها في الاعمال	٥٤	الابتعاد عن الشبهات
٩	أركان الاسلام وأصوله	٥٨	حرص النساء في عهده ﷺ
١٢	تعريف المسلم والمهاجر	٦١	واجب الرعاة نحو رعاياهم
١٤	المؤمن الكامل وعلامته	٦٥	التحذير من فتن المال
١٦	النفاق وعلاماته	٦٩	الكبر والتواضع
١٩	يسر الدين وسهولة تكاليفه	٧٣	ايثار الصحابة اخوانهم على انفسهم
٢١	المساواة وأخلاق السلف	٧٧	آداب المائدة
٢٣	ثواب من اتبع جنازة مسلم	٧٩	تحريم الخمر
٢٥	ثناء الناس على الميت	٨٢	فضيلة تلاوة القرآن الكريم
٢٨	الصبر وثمرته	٨٥	حفظ اللسان والفرج
٣١	قدوة البررة أبو طلحة	٨٨	قول الخير أو الصمت
٣٤	فضيلة العلم وقبضه بقبض العلماء	٨٩	وحدة المسلمين واجتماعهم
٣٦	الحياء اكمل شعب الايمان	٩١	جرأة الصحابة في الامر بالمعروف
٣٩	النميمة وترك التنزه من البول	٩٦	الامر بالتقوى واتباع السيئة الحسنة
٤١	نعمة المال والعلم	١٠٠	تعريف اللقطة وحكمها
٤٤	الدين ومغبته	١٠٣	صلاة الجماعة وحكمها وثوابها
٤٧	اكمال الدين واتمامه	١٠٧	اليمين الفاجرة

صفحة		صفحة	
١١٠	العدل بين الأولاد	١٦٢	وفاؤه ﷺ ليتأسى المسلمون به
١١٣	النهي عن الظلم	١٦٨	حسن الصحبة
١١٦	حذر المؤمن وفطنته	١٧٠	الناس سواسية في احكام الله
١١٨	فضل السلام وحكمه	١٧٣	الاستشارة
١٢٢	الترغيب بالزواج	١٧٤	نبذ العصبية القبلية
١٢٦	فضل صلة الرحم	١٧٧	فضائل آل البيت النبوي الطاهر
١٢٩	فضل الجهاد في سبيل الله	١٨١	الخاتمة في معجزاته ﷺ
١٣٢	أفضل أنواع الصدقات	١٨٥	ترجمة وجيزة لوالد المؤلف
١٣٥	حقوق الوالدين وبرهما	١٨٨	كلمة شكر
١٣٨	الرحمة والبعد عن القسوة	١٨٩	كلمة سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية
١٤١	الربا ومضاره وذكر بعض أنواعه	١٩٠	» » رئيس المحكمة الشرعية
١٤٤	تأثير البيئة في تربية النشء	١٩١	» » مفتي الجمهورية السورية
١٤٧	كراهة الحلف بغير الله	١٩٢	» الاستاذ أحمد الدقر
١٤٩	مثل الجليس الصالح والجليس السوء	١٩٣	» » احمد مظهر العظمة
١٥٢	حب الدنيا وطول الأمل	١٩٤	» » محمد بلنكو
١٥٥	المرء يحشر مع من أحب	١٩٥	» » عبد الغني الدقر
١٥٨	صبره عليه السلام على نسائه		

استدراك

على الرغم من العناية الفائقة التي بذلت في أثناء طبع الكتاب فقد وقع بعض خطيئات مطبعية يدركها القاريء اللبيب رأيت أن أنبه على اهمها :

خطأ	صواب	سطر	صفحة
الذي	الذي	٦	٨
رؤفا	رءوفا	٢٢	١٠
وتلبية	ولتلبية	٧	٩٦
لما	خاطبه لما	٧	٩٦
وهرول	واسع	٥	١٠٦